العِبَرُ والعِظَاتُ

مِنْ جَدْوَلِ الغَزَوَاتِ

بَحْثٌ تَحْلِيلِيٌّ لِلإِسْلَامِ وَالجِهَادِ
مِنَ السَّرَايَا وَالغَزَوَاتِ لِخَيْرِ العِبَادِ

جَمْعُ الفَقِيرِ إِلَى اللهِ العَلِيِّ
مُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الوَشَلِيِّ

اسم الكتاب: العبر والعظات من جدول الغزوات
اسم المؤلف: محمد بن قاسم بن إسماعيل الوشلي
الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م
عدد الصفحات: ١٤٠ صفـــحة
قياس القطع : ١٧ × ٢٤

جميع حقُوقُ الطبعِ محفُوظةٌ للمُؤلّف

قال العماد الأصفهاني -رحمه الله-:

{إنِّي رأيتُ أنه لا يكتبُ إنسانٌ كتاباً في يومه إلاَّ قال في غده: لو غُيِّر هذا لكانَ أحسَن، ولو زيد كذا لكان يُستحْسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفْضل، ولو تُركَ هذا لكان أجْمل، وهذا من أعْظم العبَر، وهُو دليل على اسْتيلاءِ النقص على جُملة البشر}.

بين يدي الكتاب
(بقلم الشيخ محمد بن علي بن محمد باعطية)

بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله على نعمه وإفضاله، أحمده سبحانه وتعالى امتن على أمة الإسلام بأن أرسل إليهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فجهد عليه الصلاة والسلام في ذلك واستنفد جُهده وطاقته، ولم يبخل على أمته حتى تركهم على المحجة البيضاء النقية، ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك.

فبأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، وجاهدت في الله حق جهاده حتى أتاك اليقين، فجزاك الله عن أمتك أفضل ما جزى نبيًّا عن أمته.

ولما اختاره الله إلى جواره بقيت آيات بينات تستهدي بها أمته مما حفظ من سيرته في جميع شؤون حياته حيث أرشد لذلك المولى في كتابه بقوله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1].

والرسول الأعظم صلوات الله عليه وسلامه حياته مليئة بهداية الأمة بأسرها حيث إن جميع أعماله لا تخلو من تشريع تأخذ به الأمة في أطوار حياتها، فكل جانب من جوانب حياته اعتنت الأمة بدراسته لتقتدي به في ذلك الجانب.

ومن أهم هذه الجوانب جهاده والقيام به وأمر الأمة بمواصلته

(١) سورة الأحزاب آية (٢١).

على منوال ما كان يقوم به إلى قيام الساعة، وهذا الجانب حوته السيرة في غزواته وسراياه وبعوثه.

وهديه في هذا الجانب تشريع لأمته في مراحل حياتها لتعرف بواعث الجهاد وأسبابه ودواعيه ومتى يكون الجهاد واجباً؟ وتحت أي مظلة يكون الوجوب؟ ومتى يكون الخروج له انبعاثاً من الاقتداء به عليه الصلاة والسلام ؟..

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا وضعه شيخنا الشيخ العلامة **محمد بن قاسم الوشلي** في هذه الجانب من جوانب سيرته عليه الصلاة والسلام ، وكان شاملاً في موضوعه حاصراً لغزواته عليه الصلاة والسلام وبعوثه وسراياه مشتملاً على أخذ العبر منها والدوافع التي كانت سبباً فيها، مع سهولة العبارة وسلاسة الألفاظ وضبط التواريخ، حتى يتسنى للمطلع عليها العيش في تلك البرهة الزمنية التي عاشها أفضل محبوب لدى كل مسلم، فجزى الله شيخنا خير الجزاء وأمد في عمره في عافية وتتميماً للفائدة فقد ألحقنا بالكتاب ترجمة موجزة للمؤلف -حفظه الله تعالى- تصرفنا في نقلها من كتابه (**أريج القلم من أسانيد أئمة الأمم**) الذي وضعه كثبتٍ لأسانيده ذكر فيه مشايخه وأسانيده في الكتب الحديثية المدونة.

حرر بتاريخ ٢٦/ ٢/ ١٤٣٠هـ
في جدة

ترجمة المؤلف: السيد محمد بن قاسم بن إسماعيل الوشلي

•اسمه ومولده:

هو السيد العلامة **محمد بن قاسم بن إسماعيل الوشلي الحسني**.
ولد -نفع الله به- في السابع عشر من شهر رمضان من عام ١٣٦٠ هجرية.

•نشأته وتعليمه ودوره في نشر العلم:

نشأ حفظه الله في حجر والده **العلامة قاسم بن إسماعيل بن محمد الوشلي** -رحمه الله-، وتربى على يديه في أسرة من آل الوشلي جمعت بين حيازة الوراثة النبوية والانتساب إلى الدوحة العلوية المتشرفة بكساء خير البرية.

قرأ -نفع الله به- القرآن الكريم بالمدرسة الرسمية بالزيدية حتى أكمله تلاوة، وراجعه مراراً على أيدي علماء في مسجد صائم الدهر، من أبرزهم الحافظ لكتاب الله **السيد علي بن أبي بكر صائم الدهر**، و**والده** المذكور، وجده لأمه **السيد أبو بكر المرتضى** وغيرهم.

وبعد إكماله لكتاب الله ومعرفته للقراءة والكتابة والحساب وتخرجه من المدرسة: اعتكف في مسجد صائم الدهر بالزيدية مع كوكبة من طلاب العلم من كافة أقطار اليمن، عاكفين فيه لطلب العلم الشريف نحو عقد من الزمن، قضى نفع الله به نصفه الأول معتكفاً فيه للدراسة على العلماء، وكان في نصفه الأخير يقسم العام إلى نصفين: النصف الأول: يعتكف في المسجد لطلب

العلم ونشره، والنصف الأخير: يرافق فيه والده **العلامة قاسم بن إسماعيل الوشلي** للخروج إلى كثير من المدن والمخاليف بمحافظة الحديدة لنشر العلم والتعليم عن طريق العادة في اليمن بقراءة صحيحي البخاري ومسلم وتلاوة كتاب الله وتفسيره في رجب وشعبان ورمضان، وبدخول شهر شوال يتجهز -حفظه الله- للسفر إلى الحج مبكرًا لاستغلال الوقت بالاعتكاف في المسجد الحرام وتلقي العلم من العلماء هناك.

وفي آخر عام من العقد عزم صاحب الترجمة -حفظه الله- على الإقامة بمكة المكرمة حتى يحصل على الإجازات من المشايخ هناك، ولا يعود إلا بعد الإذن من مشايخه المكيين، حيث إنه قد منح الإجازة والإذن بالتدريس من مشايخه في اليمن.

•مشايخه بالحرمين وأخذه عنهم:

ولما نزل صاحب الترجمة بمكة المكرمة خرج لزيارة كبار العلماء بها.

فأول من زاره هناك **السيد العلامة علوي عباس المالكي الحسني** رحمه الله، حيث جلس معه في غرفة الاستقبال مع كوكبة من العلماء الوافدين الذين جاءوا لزيارته أيضاً، وقد حصل الأنس والانبساط وأنشد -نفع الله به- المدائح النبوية بحضرته، ثم خرجوا جميعاً إلى المسجد الحرام، وكان السيد علوي واضعاً يده على كتف صاحب الترجمة ثم قال له:[يا محمد، اجلس على تلك الأسطوانة من المسجد ودرِّس على مذهبك وأنا سندك] فحمد الله على إذنه له بالتدريس لاسيما وأن سنه آنذاك عشرون عاماً.

ثم زار نفع الله به **الشيخ عبد الله سعيد اللحجي** -رحمه الله- في رباطه، وخرج معه إلى الحرم الشريف وقرأ عليه هناك في الحديث والفقه والنحو، وقد أجازه إجازة عامة في كل مقروءاته ومسموعاته ومروياته، ومنحه كتباً قيِّمة في الأصول والمعاني والبيان والبديع والمنطق.

ثم زار بعد ذلك العلامة المحدث **السيد حسن محمد المشاط** -رحمه الله- في مجلسه بالحرم للتدريس، وقد أجازه وأهدى إليه من مؤلفاته.

ثم زار محدث الديار المكية **الشيخ العلامة محمد العربي التباني** -رحمه الله- في منزله بمكة، فجلس معه ودعا له بخيري الدنيا والآخرة وقد أجازه لفظاً.

ثم تنقل صاحب الترجمة في نفس الحرم على مشايخ كثيرين، **كالشيخ محمد نور** وغيره، ولم يتمكن من الدراسة عليهم لكنه لم يحرم من دعواتهم الصالحة -رحمهم الله تعالى رحمة الأبرار-.

وفي ليلة الاثنين الموافق ١٣ رمضان من عام ١٣٩٥هـ، يسر الله له -بمرافقة منصب المنيرة **السيد يحيى بن قاسم الأهدل** - زيارة علم الدين أبي الفيض محمد ياسين بن عيسى الفاداني -رحمه الله- بمنزله في مكة المكرمة وجلس معه، وقد أجازه إجازة عامة بكل مقروءاته ومسموعاته ومروياته وخاصة الكتب الحديثية السبعة.

ثم زار حفظه الله **السيد العلامة محمد علوي المالكي** -رحمه الله- بمنزله، وقد حصل الأنس والانبساط وأنشد الطلبة البردة جماعيًّا، ثم خرجوا إلى الحرم المكي لصلاة الصبح، وقد دعا له السيد محمد المالكي -رحمه الله- وأكرمه بكتب كثيرة من مؤلفاته.

ومن أبرز من لقيه صاحب الترجمة -نفع الله به- في المدينة المنورة وجلس معه في حلقته وشملته مع الحاضرين دعوته بعد ختم القرآن العظيم في الروضة الشريفة، **الشيخ المعمر المقري الماهر حسن بن إبراهيم الشاعر** -رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته-.

•مشايخه باليمن:

وأما مشايخ صاحب الترجمة اليمنيون فكثير، ومن أجلهم مشايخ تخريجه الذين طالما تربى بتوجيهاتهم وسلك الطريق بإرشادهم وجلس بين أيديهم وحضر دروسهم وسمع منهم وقرأ عليهم طوال عقد من الزمن في علم العقائد والتفسير والحديث والفقه وعلوم الآلة بكل اتجاهاتها وأنواعها، وقد أجازوه إجازة عامة بكل ما يجوز لهم روايته ودرايته من العلوم الشرعية والعقلية والنقلية.

ومنهم والده المتقدم ذكره **العلامة قاسم بن إسماعيل الوشلي، والعلامة السيد حسين بن محمد الزواك، والمحقق السيد محمد بن يحيى دوم، والعلامة الفقيه أحمد بن محمد عامر الشحري، والعلامة عبد الله بن سعيد محمد عباد،** وكل من هؤلاء يروي عن كثير من المشايخ الأجلاء -رحمهم الله تعالى رحمة الأبرار-.

ومن مشايخه الذين قرأ عليهم وسمع منهم العلوم الشرعية والآلية: **العلامة محمد ياسين بن عيسى الفاداني** المتقدم ذكره، والعلامة مفتي قضاء الزيدية **السيد محمد بن محمد القديمي،** والعلامة خلفه بالإفتاء بالزيدية **السيد أحمد بن عبد العزيز القديمي، والعلامة السيد علي بن محمد الوشلي،** وقد أجازه الأخير

بخطه إجازة عامة في كل مقروءاته ومسموعاته ومروياته.

ومنهم عمه العلامة **السيد عبد الرحمن بن إسماعيل الوشلي**، ومنهم العلامة **السيد علي القديمي**، والعلامة **السيد محمد بن عبد الله المديني** وغيرهم الكثير من المشايخ والفقهاء مما لا يسع المجال لذكرهم.

ولصاحب الترجمة -حفظه الله- العديد من المؤلفات، نذكر منها كتاب (**أريج القلم من أسانيد أئمة الأمم**)، وهو كتاب جمعه صاحب الترجمة وذكر فيه جميع مشايخه وأسانيده في الكتب الحديثية، وقد يسر الله طبعه.

نفعنا الله بصاحب الترجمة وبعلومه وأثابه وأطال في عمره ونفع به نفعًا جمًا..

❊ ❊ ❊

بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم

مقدمة واغتباط...

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فبه تعالى أقول، ومنه أستمد العون والحول، وعليه أتكل، وهو حسبي ونعم الوكيل، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. **وبعد:**

إنه لمن دواعي الغبطة والشرف أن أشارك العلماء الناقلين إلى الأمة الإسلامية أقوال وأفعال خاتم الأنبياء والرسل ﷺ وعلى صحابته الذين اتبعوا هداه فحازوا سعادة الدارين من خلال السيرة النبوية العطرة التي تحمل العزة والكرامة والرقي للأمة الإسلامية زماناً ومكاناً، جماعات ووحداناً، سياحات وأوطاناً.

وتلك المشاركة بتلخيصي وتخليصي للغزوات النبوية في جدول ليسهل حفظها وفهمها لطلبة العلم وكل المسلمين، فيعرفونها عن قرب وينتفعون بها في كل الميادين؛ بالأخص إحسان العمل لهذا الدين باقتفائهم لهدي سيد المرسلين، والخير كل الخير فيمن سعى لطبعه ونشره في أنحاء العالم ليعم نفعه، مما حداني إلى أن أتبع ذلك الجدول بأنموذج لطيف وعنوان شريف يوضح الأهداف والعبر لتلك الغزوات الخالدة، ويكون عظة ومنارًا لمن أراد السلوك على الجادة، فيستمسك من الإسلام بالعروة، ويحظى من الدين بالذروة، لا سيما ورسول الله ﷺ هو القدوة، حيث نستلهم من سيرته العظيمة العبر والعظات، ونرفل في حللها أحياء مسرورين

بما آتانا الله من فضله غير أموات، هذا وإن كنت لم آت فيه بغريب إلا أني ساهمت بالإيجاز والتقريب، مع اعترافي بأني لست أهلاً لذلك الإيضاح والاختصار، لكن لا يعدم أي شخص من نادرة جرت له من الأخبار، يستفيد منها القارئون ولو على وجه الاعتبار، وإذا كانت الغايات لا تدرك، فالمتيسر منها لا يترك.

الإسلام وذروة السنام...

ولما كان الإسلام مع الجهاد كالجسد الواحد لإقامة الدين، كما في الحديث الصحيح المروي عن سيد المرسلين أنه قال: «**رأس الأمرِ الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**»[1]. كان لزاماً الاستناد على هذا الخبر، وأن أربط رأس الأمر بذروة سنامه في العظات والعبر، فمهدت لذلك بتوضيح الإسلام أولاً، وجعلته لهذا المختصر مدخلاً، وبينت فيه حتمية التضحية والجهاد للإسلام، وأن ذلك سنة الله على الـدوام، وعُلم من ذلك أن الإسلام والجهاد كالجسد، فلا غنى لأحدهما عن الآخر على الأبد وهذا الأمر الذي يقتضيه الحديث المعتمد، فأقول مستمداً العون من ذي الطول:

(١) رواه مسلم والترمذي في كتاب الإيمان رقم ٨ كتاب الجهاد رقم ٢٢ وابن ماجه.

مدخل
(الإسلام والجهاد : هما الحياة للعباد)

خلق الله الأرض ووضعها للأنام، واستخلف آدم لعمارتها وعلمه الأحكام، وأنزل الكتاب والميزان لاستتباب الحياة والمقام، وبين أن لا عمارة عادلة إلا لأهل الإسلام، ابتداء من آدم وانتهاء بمحمد عليهما أفضل الصلاة والسلام، وعلى هذا طويت الصحف وجفت الأقلام ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[1].

لقد أقاموا الدين ولم يتفرقوا، وبلّغوا الرسالات وبمبادئها تخلّقوا وضحوا في سبيل ذلك بالغالي والنفيس، ودحروا إبليس وجنود إبليس، فهذا هابيل استسلم للقتل، ونوح صبر تسعمائة وخمسين عاماً يدعو وما ملّ، وتحمل الأذى واعتذر وتاب حين آثر بعض الأهل، وإبراهيم خليل الله ينفذ أمر الذبح لولده، وإسماعيل يستسلم بروحه وجسده، ويوسف استعصم عن المعصية ورضي بالحبس، وأصحاب الكهف ضحوا بكل شيء حتى النفس، وغلام الأخدود بنفسه يجود، وقومه يقحمون في نار الأخدود، ولا زالت التضحيات للإسلام منذ استخلف الله آدم في الأرض من أنبياء الله ورسله والمؤمنين إلى أن أنزل الله الوثيقة الإلهية التي تتضمن كلمات الله الأخيرة للبشرية، التي لم تحرّف ولم تبدل بحفظ من منزلها العزيز الحميد على من بعثه الله إلى كافة الخلق، لبنة التمام ومسك الختام عليه أفضل الصلاة والسلام.

---

(١) سورة الشورى آية (١٣)

وقد بلغ رسول الله ﷺ الأمة بذلك مبيناً لهم بقوله وفعله المقصود من الحياة هنالك، وأنها لن تقوم وتسود بدون جهاد وتضحية، وأن عليهم التأسي بمن مضى ليحصل لهم التحفيز والتسلية، فقال ﷺ لأصحابه: «**كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيها فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُشق اثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**»(١).

تلكم الأمم التي سعت وضحّت من أجل دينها ومبادئه ومُثله وقيمه، وزحفت به بين الأمم في سالف العصور طالبة الحياة الخالدة بالموت من أجل الإسلام ومبادئه، ففازوا بتخليد الحياة الكريمة في الدنيا والآخرة، فهم على ممر الزمان أحياء، قصصهم في كتاب الله تُتلى، وسيرهم عن الرسل تُروى، ولهديهم أمرنا بالاقتداء، ولآثارهم ألزمنا بالاقتفاء، وفي جنة الفردوس متقلبهم والمثوى، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾(٢).

لقد أصبح الموت في عقيدة المؤمن حياة ورزقاً وفرحاً، ومن ذا الذي لا يتمنى الحياة والرزق والفرح، لم يعد الموت عدماً ولا ألماً ولا ظلاماً، بل صار معبرًا إلى رضوان الله والحياة الخالدة، وقد

(١) رواه البخاري في المناقب والإكراه وأحمد وأبو داود.
(٢) سورة آل عمران آية (١٦٩-١٧٠)

تظاهرت الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة على حياتهم، وأنهم يُرزقون في الجنة من وقت القتل حتى كأن الحياة الدنيا دائمة لهم، وأنهم لا يجدون مس القتل إلا كما يجد أحدنا مس القرصة [١]، وأنهم يتمنون على ربهم الرجوع[٢] إلى الدنيا لتتكرر لهم الشهادة، وأنهم لا يُفتنون في قبورهم ، **(وكفى ببارقة السيوف فتنة)**.

تلك سنة الله في الكون تتطلب الجد والعمل وبذل الجهد والتضحية لصالح الأمة في شتى الميادين، تلك سنة الله في الذين خلوا من قبل، ولا تزال مستمرة في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً ما دامت السنين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٣]:«إذا دعاكم لما يحييكم» إنها الحياة العامة، حياة الأرض وما عليها، حياة الزمان وما انطوى عليه، الحياة الراقية التي تتمثل في الإسلام ومبادئه ومُثله وقيمه من ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله إلى أبسط أموره إماطة الأذى عن الطريق؛ لتروق للمسلم الحياة -أي: الحفاظ على كيان الأمة الإسلامية-.

ولولا أن منَّ الله علينا بتلك الرحمة المهداة لما شهد العالم تلك الحضارة والرقي في الإسلام، ولظل يرزح تحت الوثنية الشرقية والأديان الباطلة المحرفة الغريبة، وقد كان المؤمن بالله ينشر دين الله في أرضه بمفرده، ولا يخاف تلك القوى المتقمصة برداء الآلهة، حتى ظهر دين الله على الدين كله.

(١) النسائي وابن ماجه والدارمي في الجهاد رقم ١٦ وأحمد ج٣ ص٢٩٧
(٢) النسائي وابن ماجه والدارمي في الجهاد رقم ١٦ وأحمد ج٣ ص٢٩٧.
(٣) سورة الأنفال آية (٢٤)

الأمة بمبادئها...

وبقدر إيمان الأمة وتمسكها بمبادئها تتكون حضارتها ورقيها، والأمة التي تكون مبادؤها وأخلاقها وقيمها ومثلها نابعة من إيمانها تكون قوية على تحمل الصعاب، ومقارعة للتحديات، قادرة على استجلاب رياح التغيير بتجدد المتغيرات، عظيمة الزحف بمبادئها على الأمم بالوسائل المتيسرات، فتملك القيادة والسيادة بما تملك وتجاهد وتصابر بما تؤمن، هذا ما فقهه الصحابة -رضوان الله عليهم- في الدين، ورباهم به سيد المرسلين، وخلفهم عليه سلفنا الصالح من المسلمين ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾.[1]

علموا وجهلنا...

لقد ساد سلفنا الصالح العالم بما يملك، وحقق للعالم الحرية والأمن والاستقرار بما يؤمن، وشهد العالم حضارة لم يسبق لها مثيل ولا يأتي لها بديل إلا بأن يصلحوا بما صلح به ذلك الرعيل، فهل كان لرسول الله وصحابته والسلف الصالح من بعدهم إستراتيجية[2] غير الإيمان؟ وهل كان لهم وسائل حرب غير الأخلاق الكريمة والمثل العليا والمبادئ الحسان؟ وهل كان لهم مصانع وعمارات وفضائيات غير الإسلام والتقوى والإحسان؟ كلا؛ بل سادوا خلق الله بإعلاء كلمة الله واستخلفوا على أرض

(١) سورة الجمعة آية (٢)

(٢) أي القوة والعدة الشاملة للمرجع في كل الاتجاهات.

الله بإقامة العدل في الحياة وجاهدوا وضحوا ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1]. لكن المتأمل في واقع الأمة الأخيرة يلاحظ تغيراً كبيراً عن سلفنا وأمته الخيّرة في حمل المبادئ وفي واقع أصحاب المبادئ، مع أنها مبادئ أعزت أصحابها وحامليها [**نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمن ابتغى العزة في غيره أذله الله**][2]، واقع يبين عن وهن كبير وضعف خطير وانحراف فظيع، وغثائية تغمس أمتها في الحضيض، وتغيير وتبديل تستحق به الحكم النهائي من الله ورسوله ﷺ «**وهو سحقاً سحقاً يوم القيامة**»[3]. فما تخلف المسلمون وتخاذلوا عن نصرة بعضهم بعضا إلا بسبب هذه الإساءة.

الأمة الإسلامية تملك وسائل القيادة للعالم...

مع أن الأمة الحالية تملك كل وسائل القيادة؛ فالعدد كثير: مليار وربع المليار، واقتصاد الأمة الإسلامية متكامل وكاف لو حصل التضامن، موقعها الجغرافي تحسد عليه من قبل كل الأنام، ورسالتها حضارية تصل الأرض بالسماء وتجمع بين العقل والنقل وتعطي الآخرة ولا تحرم من الدنيا، تشحذ القلب ولا تحجر العقل، تمنح الإيمان والعلم، وتملك الوثيقة الإلهية التي هي تتضمن كلمات الله الأخيرة للبشرية التي لم تحرف، هذا هو ما تملكه الأمة الإسلامية وما مكنها الله منه وأيدها به، وهو باختصار دين الإسلام الذي يشمل كل هذا، إنه المنة الكبرى والنعمة العظمى والدين الكامل المرتضى للبشرية وأهل السماء، وكل الأنبياء والرسل بعثوا بالإسلام،

(١) سورة القصص آية (٨٧)

(٢) لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ.

(٣) رواه البخاري في الرقاق ٤٥- ٥٣ ومسلم في الفضائل ٢٩-٣٢ والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وبه بعث لبنة التمام ومسك الختام عليه أفضل الصلاة والسلام، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[1].

فهم أمة الكمال لكنهم رضوا بالنقص والانحلال، وأمة سورة **(اقرأ)** ولكنها لا تقرأ، وأمة سورة **(الصف)** لكن صفها ممزق، وأمة سورة **(القتال)** ولكنها اختارت الاستكانة والاستسلام، وأمة سورة **(النصر)** لكنها رضيت بالهزيمة، وأمة سورة **(النور)** لكنها تعيش في الظلام الدامس؛ إنه الجهل، والسنة والكتاب بين أيدينا، والتشاغل بالشهوات الفانية عمّا يحيينا، وعلم ذلك غيرنا وجهلنا، فلا حول ولا قوة إلا بالله من تجاهلنا وتناسينا.

ما الحل؟

نحن المسلمون الوحيدون من بين الأمـم نملك المبادئ الأساسية العظيمة التي لو طبقت وأحسن تقديمها للبشرية لأنقذتهم ووسعتهم؛ لأنها قد طبقت قروناً وما زالت هي الحل، والحل لا يعني التنديد والبكاء على هذا الواقع الأليم؛ وإنما في تجديد العهد وإعادة البيعة مع الله المتمثلة في اعتناق الدين اعتناقاً صحيحاً نقيًّا من الدخل والشوائب بفهم مثل الإسلام عقيدة وانتماء وسلوكاً، بهذا وحده نوصل الإسلام إلى الآخرين فتخالط بشاشته القلوب فتتغير المبادئ الفاسدة المنحرفة ويقبل الناس على المبادئ الصحيحة النافعة، وليس من العيب أن يغير الإنسان رأيه

(١) سورة المائدة آية (٣)

إذا اكتشف خطأه وعدم صوابه ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1].

أدركوا وغفلنا...

إن ما ينقص الأمة اليوم هو اعتزازها بدينها وبمبادئه؛ لأن الاعتزاز بالمبدأ وإن كان خاطئاً قد يحييه سنوات، ولكن صحة المبدأ وسلامته هو الذي يجعلها تعيش وتخلد إلى قيام الساعة، فعارٌ على من يحمل مثل هذا الدين أن يخاف أو يجبن أو يصبح قصعةً يأكل منها الخاص والعام، ولعل أهل هذا الدين هم وحدهم الذين لا يدركون هذه الحقيقة اليوم، وغير أهله يدركونها ويخشونها ويحسبون لها ألف حساب، إن هذا الدين اليوم محتاج إلى من يحمل همه، فأعظم حمل له اليوم أن نحمله في سلوكنا وأخلاقنا، لكن الناس اليوم مع الأسف تركوا حمل همِّ الدِّين واشتغلوا بحمل الطين.

الانتماء الفارغ...

فأبناء الإسلام اليوم أصابهم غرور الانتماء الفارغ وحمى التجزئة للدين والعوائق، فكم من مسلم مسلّم بإعلان الشهادة بعيد عن حقيقة الشهادة، أليس معنى **لا إله إلا الله: لا معبود بحق في الوجود إلا الله**؟ أليس الوجود أرض الله وسماءه وما فيها؟ أليس بنو آدم خلفاء الله في أرضه؟ أليس الدين الذي رضيه لهم هو الإسلام وأنعم عليهم بشموله وكماله؟ بلى؛ لكنَّا نطقنا بالشهادة واخترنا

(١) سورة الشعراء آية (٤٦-٤٧)

من الإسلام العمل السهل الذي يتناسب مع شهوات أنفسنا، وما فيه شقة تغافلنا عنه وتركناه، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[1].

لقد تركنا الخلافة وضيّعنا القيادة، فحينما ينظر إلينا الناس أعداء الله وغيرهم لم يجدوا لدينا عزة الإسلام وعظمته والتقيد بمبادئه، بل إذا ما عرضت لنا شهوات الدنيا وزخرفها نسينا أننا الأمة الوسطى، ورضينا من أجل الشهوات بالمقعد الخلفي من بين الأمم وقلدناهم في سَنَنهم الخاطئ «**حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**»[2]. ويحاول المسلم أن يقنع نفسه بشرعية انحرافه عن الإسلام «**إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك**»[3].

وهكذا لو بحثنا في الناس لوجدناهم يبغّضون الإسلام تبغيضاً على الناس ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[4].

الأمر الخطر: سوء الفهم والتغير في التبديل والتغير...

هذا هو الأخطر على المسلمين والدين، فحين يسوء فهم الإسلام ويعتقد صحة الأفعال بالرأي والهوى إنه التغيير والتبديل الذي انحرفنا بسببه عن هذا الدين، إنه البعد عن المبادئ وعدم التضحية

(١) سورة الأحزاب آية (٣٦)
(٢) رواه مسلم في العلم رقم٦
(٣) رواه ابو داود والترمذي . ..
(٤) سورة البقرة آية (٨٥)

من أجلها «ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[1].

فما أحوج الأمة إلى أن تعود إلى دينها وتعض على مبادئها بالنواجذ وتسلم أمرها إلى بارئها، وإن لم تفعل فلتراجع إيمانها حتى تستسلم للشرع الشريف بكل اتجاهاته، اللهم فقهنا في الدين، وارزقنا الاقتداء بسيد المرسلين ﷺ.

* * *

(١) متفق عليه .

(فضل الجهاد في الإسلام)

الجهاد في الإسلام لا يعادله عمل بعد الإيمان بالله ورسوله ﷺ، كيف لا يكون ذلك؟ وهو المظلة الواقية له من ضربات الفتن، والقوة المساندة له إذا هبت رياح المحن، و السياج الكافي لنشره وظهوره على مدى الزمن، والبيعة الرابحة الغالية الثمن، فلا تتحلى به الأمة وتقوم بأدائه لإعلاء كلمة الله إلا ومكنها الله من الاستخلاف على أرضه، ونصرها على عدوه، وأبدلها من الضعف قوة، ومن الذل عزة، ومن الهوان منعة، ومن الركود نفوذاً.

ولا يستطيع أحد أن يستقصي ما ورد في فضل الجهاد في سبيل الله من الآيات والأحاديث، إلا أننا سنتبرك بذكر شيء من ذلك كعنوان لما هنالك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[1]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾[2].

وقال ﷺ: «**يا معاذ، ألا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟**» قال: بلى، فقال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**»[3]. وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني

(١) سورة التوبة آية (١١١)

(٢) سورة الصف آية (١٠-١١)

(٣) رواه الترمذي في الإيمان رقم ٨ وفي فضل الجهاد رقم ٢٢ ورواه مسلم وابن ماجه.

على عمل يعدل الجهاد، قال: «**لا أجده، قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر**»، قال: ومن يستطيع ذلك؟[1] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قيل يا رسول الله: أي الناس أفضل ؟ فقال رسول الله: «**مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله**»، **قالوا: ثم من؟ قال:** «**مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره**»[2] .

وقال ﷺ: «**للشهيد عند الله خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب النار، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه، ويحلى حلة الإيمان**» [3].

* * *

(١) رواه الترمذي والبخاري في الجهاد رقم ١ ومسلم في الإمارة رقم ١١ والنسائي وأحمد

(٢) رواه الترمذي والبخاري في الجهاد رقم ١ ومسلم في الإمارة رقم ١١ والنسائي وأحمد

(٣)رواه أحمد ج٤/ ١١٩-٢٠٠ وابن ماجه في الجهاد رقم ١٦ والترمذي في فضائل الجهاد رقم ٢٥ وصححه.

(حكم الجهاد في الإسلام)

اعلم أنه ورد في وجوب الجهاد من الآيات والأحاديث ما يطول ذكره، ويتعذر على المستفيد استقصاؤه وحصره، وما جرى من خلاف بين العلماء في كون الوجوب كفائيًّا أو عينيًّا بحسب الدليل تقديماً وتأخيراً، وناسخاً ومنسوخاً، وخاصًّا وعامًّا، يصعب على الكاتب زبره، مما حداني أن أصوب سهم قلمي نحو الدليل، وأجتهد فيما يقتضيه وفق اللغة العربية من كتاب الله والسنة المطهرة بدون تأويل، واتَّبع المقتضى بالنص والتحليل، وأمسك عنان القلم عن كثرة الأقاويل، إلا ما فيه توضيح وله مدرك رغبة للتسهيل، فأقول مستمدًّا التوفيق للصواب من الملك الجليل -وهو حسبي ونعم الوكيل-:

الجهاد في سبيل الله واجب عيني على كل مكلف حر ذكر؛ لأن الخطاب في القرآن بالجهاد للذكور، ولما روي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: يا رسول الله هل على النساء جهاد؟ قال: «**جهادكن الحج**» أو قال: «**حسبكن الحج**» [1].

بقدر المستطاع وعلى أيِّ حال حتى يظهر الإسلام وتحسم أنواع الفتن ويكون الدين كله لله. وإذا ما أصبح الإسلام ظاهراً ظهوراً كاملاً، وأخمدت الفتن في مهدها ولم يبقَ ما يُخشى منه الفتنة على الإسلام والمسلمين فيكون في هذه الحالة واجباً كفائياً -أي: إذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقين-.

(١) رواه البخاري ٥٢٠ وأحمد في سنده ج٦/ ٧٩ واللفظ له.

ماضٍ لا يتوقف...

ولا يجوز توقف الجهاد نهائيًّا حفاظاً على كيان المسلمين والإسلام، «**الجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن تقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل**» (١). «**والجهاد ماضٍ مع البر والفاجر**» (٢). «**والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم**» (٣).

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ (٤).

قال ابن العربي في آيات الأحكام (٥): يحتمل أن يريد به: وقاتلوهم حتى لا يكون كفر، ويحتمل أن يكون:وقاتلوهم حتى لا يُفتن أحد في دينه، وكلاهما يجوز أن يكون مراداً، وهذه الغاية لا تتحقق إلا بنزول عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، قلت: وهذان الأمران حدود الجهاد المفروض عيناً في كل زمان ومكان لا ذلك الزمان، وتقر حكماً دائماً في مواجهة الواقع الجاهلي الدائم.

ولابد لتحقق هذا الهدف من **أمرين، أولهما**: دفع الأذى والفتنة عمن يعتنقون هذا الدين، **وثانيهما**: تحطيم كل قوة تعارضه؛ لضمان الهدف الأول وحرية المعتقد للمخلوقين، وذلك معنى

(١) رواه أبو داود في الجهاد رقم٣/ ١٨ والبيهقي في السنن رقم ١٨٩٩٤ ج١٣/ ٥٢٣
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه البخاري في حديث عروة رقم ٢٨٥٢ ومسلم ١٨٧٣
(٤) سورة الأنفال آية (٣٩-٤٠)
(٥) ج٢ص٨٤٥.

قوله تعالى: ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[1]. أي: إزالة الحواجز القاهرة لخلق الله عن التمسك بدين الله، ويبقى الناس أحرارا يختارون معتقدهم بدون ضغط، ولا تكون هناك أيُّ قوة لمبدأ يخالف دين الله، يضغط به على الآخرين ويحول بها دون من يرغبون في الدخول في دين الله.

أما إذا كانت هناك أدنى قوة من الكفار كتجمع أو اعتداء ولو على فرد من المسلمين في عِرض أو عَرض أو أرض أو أسر لمسلم أو وقع استنفار عام، فيبقى الوجوب العيني قائماً مقروناً بالفورية على كل المسلمين تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[2].

قال ابن العربي: ونحو قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ... ﴾[3] الخ: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[4]. المعنى: لا تقبلوا على الأموال إيثاراً لها على الأعمال الصالحة، ولا تركنوا إلى التجارة الحاضرة تقديماً لها على التجارة الرابحة التي تنجيكم من عذاب أليم.

---

(١) سورة الأنفال آية (٣٩).
(٢) سورة التوبة آية (٣٨-٣٩)..
(٣) سورة التوبة آية (٣٨).
(٤) سورة البقرة آية (١٩٥).

وقوله تعالى: «إِلَّا تَنفِرُواْ . . .»الخ الآية: **فيها مسألتان:**

الأولى: هذا تهديد شديد ووعيد مؤكد في ترك النفير، ومن محققات مسائل الأصول: أن الأمر إذا ورد فليس في وروده أكثر من اقتضاء الفعل، فأما العقاب عند الترك فلا يؤخذ من نفس الأمر، ولا يقتضيه الاقتضاء، وإنما يكون العقاب بالخبر عنه، كقوله: إن لم تفعل كذا عذبتك بكذا، كما ورد في هذه الآية الكريمة، فوجب بمقتضاها النفير للجهاد والخروج إلى الكفار لمقاتلتهم على أن تكون كلمة الله هي العليا.

المسألة الثانية: نوع العذاب، فالعذاب الأليم هو الذي في الدنيا باستيلاء العدو على من لم يستولِ عليه، وبالنار في الآخرة، وزيادة على ذلك استبدال غيركم كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾[2].

قال القاضي أبو السعود: قوله تعالى: «خِفَافًا وَثِقَالًا»: حالان من ضمير المخاطبين أي: على أيِّ حال كان من عسر ويسر حاصلين بأي سبب كان من الصحة والمرض والغنى والفقر أو قلة العيال أو كثرتهم أو غير ذلك مما تنظمه مساعدة الأسباب وعدمها بعد الإمكان والقدرة في الجملة، وقوله تعالى: «وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ» إيجاب للجهاد بهما إن أمكن، وبأحدهما عند إمكانه وإعواز الآخر. اهـ.

---

(١) سورة محمد آية(٣٨).

(٢) سورة التوبة آية(٤١).

وقال ابن العربي في آيات الأحكام: اختُلف في إحكام هذه الآية أو نسخها على قولين، والصحيح: أنها غير منسوخة، وقد تكون حالة يجب فيها نفير الكل إذا تعين الجهاد على الأعيان بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالعقر؛ فيجب على كافة الخلق الجهاد والخروج إليه فإن قصّروا عصوا. اهـ.

قلت:وكذا لو أسروا من المسلمين ولو أسيرًا واحدًا يجب النهوض إليهم فوراً؛ لأن حرمة المسلم أولى وأعظم من أيِّ قطر.اهـ.

ونُقل **عن الإمام مالك** -رحمه الله- أنه قال: يجب على كافة المسلمين فداء أسراهم وإن استغرق أموالهم، وقال أيضاً في آيات الأحكام عند قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ ...﴾[1] الخ الآية: واختلف الناس في هذه الآية فمنهم من قال: نزلت في الصحابة خاصة.

والثاني: أنه مكتوب على جميع الخلق لكن يختلف الحال فيه، فإن كان الإسلام ظاهراً فهو فرض على الكفاية، وإن كان العدو ظاهراً على موضع كان القتال فرضاً على الأعيان حتى يكشف الله ما بهم وهذا هو الصحيح.

روى البخاري وغيره عن مجاشع قال: أتيت النبي ﷺ أنا وأخي، فقلت: بايعني على الهجرة، فقال: «**مضت الهجرة لأهلها**»، قلت: علامَ تبايعنا؟ قال: «**على الإسلام والجهاد**». وروى الأئمة: أن النبي ﷺ قال: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**» انتهى كلام ابن العربي.

(١) سورة البقرة آية (٢١٦).

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري[1]: وللناس في الجهاد حالان، إحداهما: في زمن النبي ﷺ، والأخرى: بعده .

فأما الأولى: فأول ما شرع الجهاد بعد الهجرة اتفاقاً، ثم بعد أن شُرع هل كان فرض عين أو كفاية؟ قولان مشهوران للعلماء وهما في مذهب الشافعي، وذكر أقوالاً كثيرة للعلماء يطول شرحها، وتعقبها بقوله: والتحقيق أنه كان عيناً على من عينه النبيﷺ في حقه، ولو لم يخرج .

الحال الثاني : بعده ﷺ ، فهو فرض كفاية على المشهور، إلا أن تدعو الحاجة إليه، وذكر خلافاً كبيراً، ثم قال: والذي يظهر أنه استمر على ما كان عليه في زمن النبي ﷺ إلى أن تكاملت فتوح معظم البلاد، وانتشر الإسلام في أقطار الأرض، ثم صار إلى ما تقدم ذكره، ثم قال: والتحقيق أيضاً أن جنس جهاد الكفار متعين على كل مسلم، إما بيده وإما بلسانه وإما بماله وإما بقلبه. والله أعلم اهـ.

وعبارة فتح المعين مع قرة العين: وإن دخلوا -أي الكفار- بلدةً لنا تعيّن الجهاد على أهلها والدفع بما أمكنهم، ويجب على من قصده كافر الدفاع بما أمكن، وإن كان لا جهاد عليه؛ لامتناع الاستسلام لكافر وحرم على من هو أهل فرض الجهاد انصراف عن الصف بعد التلاقي ولو غلب على ظنه أنه إذا ثبت قتل؛ لعدهﷺ الفرار من الزحف من السبع الموبقات. اهـ

(١) (باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية) ج ٦ ص.٤٥.

قلت: ولقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ ﴾[1]، ولأن الاستسلام والانصراف ذل وخلل ديني، ولا التفات إلى من يخص الآية بيوم بدر أو بقيد الانصراف بالضعف؛ لأن ذلك يكون قبل المقابلة والاستيلاء، أما بعدهما فيجب الدفع بما أمكن وكيفما أمكن، ويجب الصبر والثبات حتى يرفع الله تلك الكارثة ويظهر دين الله، وتحمى البيضة ويذل ويخزى العدو، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2]؛ لأن الثبات وذكر الله مما يقوي عوامل النصر. ولقوله ﷺ: «**لا تمنوا لقاء العدو وإذا لقيتموهم فاصبروا**»[3]، وكل غزوات رسول الله ﷺ وسراياه وفعل أصحابه يؤيد ذلك للمعتبر والمتعظ، ومثل الاستيلاء والمقابلة إذا كان العدو في زحفه على المسلمين دون مسافة القصر من بلد المسلمين، أو آذوا مسلماً أو أسروه فيجب النهوض فوراً إليهم كما سبق بيانه. اهـ.

وعبارة فتح المعين مع إعانة الطالبين: ولو أسروا مسلماً يجب النهوض إليهم فوراً لخلاصه -أي: وجوباً عينياً- كدخولهم دارنا بل هذا أولى؛ إذ حرمة المسلم أعظم، وقوله: «لخلاصه» اللام تعليلية متعلقة بيجب -أي يجب النهوض لأجل خلاص المسلم المأسور من أيدي الكفار-، وتعين أيضاً على من دون مسافة القصر من البلد التي دخلوا فيها ولو كان في أهلها الكفاية؛ لأنهم في حكمهم، وكذا على من كان على مسافة القصر إن لم يكفِ أهلها

(١) سورة الأنفال آية (١٥).
(٢) سورة الأنفال آية (٤٥)
(٣) رواه البخاري .

ومن يليهم اهـ.

ومن أجل أن نفقه ما كان عليه صحابة رسول الله من الفهم لهذا الدين مما يعلمهم ويزكيهم به سيد المرسلين قولاً وفعلاً وتقريراً في كل حين، ولتأييد ما سبق ذكره من فرضية الجهاد على العين، نذكر وقعة مؤتة كشاهد مبين:

ففي جمادى الأولى سنة ٨ هـ الموافق ٩٢٦م: بعث ﷺ جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل إثر مقتل رسوله إلى عظيم بُصرى الحارث بن عُمير الأزدي، وأوصى النبي ﷺ الجيش بأن يأتوا مقتل الحارث ويدعوهم إلى الإسلام فإن أجابوهم وإلا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم. تحرك الجيش الإسلامي في اتجاه الشمال حتى بلغ قرية معان من أرض الشام مما يلي الحجاز، فإذا هو يُفاجَـأ بأن هرقل نازلٌ بآب من أرض البلقاء في مائتي ألف مقاتل ليجتاح المسلمين؛ مما جعل جيش المسلمين يقع في حيرة من أمره، هل يعمل الواجب عليه ويقاتل ذلك الجيش العرمرم ويصبر ويصابر حتى يفتح الله عليه أو يستشهد أو يتوقف ويرسل إلى رسول الله ليأمره بأمره؟ فعند ذلك عقد الجيش الإسلامي جلسة للتشاور في الأمر، فذهب الرأي أن يعلم رسول الله بالواقع وينتظر الرد، لكن أحد القواد للجيش وهو عبد الله بن رواحة عارض الرأي قائلاً: [يا قوم: والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون إنها الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا، وإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة]، فتذكر الجيش الواجب ووافق الجميع على الانطلاق ومقابلة العدو والصبر والثبات والقتال حتى النصر أوالشهادة.

وهناك في مؤتة التقى الفريقان، وبدأ القتال المرير، ثلاثة آلاف مقاتل يواجهون هجمات مائتي ألف مقاتل، الواحد منهم يقابل سبعين مقاتلاً، معركة عجيبة تشاهدها الدنيا بالدهشة والحيرة، ولكن إذا ذهبت رياح الإيمان بالله جاءت الخوارق والعجائب، يصمد ذلك الجيش أسبوعاً، فقتل من العدو ما لا يستطاع حصره، وأذاقهم الويلات وحقق في العدو نصره، وأصبح العدو عاجزاً من الدفاع فكيف بالزحف، ويريد التخلص من الذي أذاقه الويلات والحتف، وظهر ذلك منهم لجيش المسلمين وتأكدوا بأن الله قد نصرهم.

قام سيف الله في اليوم الثامن يتفقد الجيش وغيّره؛ ليسبر من العدو خبره، وليفهم منه مخبره، فلما تأكد له أنه قد أذل العدو وأثخنه، ورد الله بهم زحف العدو وأوهنه، ونصر الله الإسلام وجيش المسلمين ومكنه، انسحب بالجيش سالماً ظافراً، مخلفاً على العدو الخزي والذل والعار ظاهراً، ففي تلك الواقعة العظيمة دليل وعبرة، ومواعظ وتحديات للعالم بكل فقرة.

❊ ❊ ❊

(الجهاد وغايته، والمجاهد ونيته)

ولما كان الجهاد في سبيل الله أمر له خطره، ولا يماثله شيء ولا يقدر قدره، ونعني بذلك التضحية بكل ما سوى الله لله النافذ أمره؛ من أجل الانتقال بالعالم من الخمول والانكسار والذل والاستعباد للعباد في هذه الدار، إلى الرفعة والظهور لدين الله والانتصار، وقيام العدل والأمن والمساواة على الأرض في كل الأقطار؛ حتى تسعد البشرية كلها بدين الواحد القهار، آن لي أن أوضح الجهاد في سبيل الله بالمعنى الذي أنزله الله، وبينه للسائل رسوله المختار، حيث قال:«**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[1]، ولكي نفهم حقيقة الجهاد كما فهمه الصحابة-رضوان الله عليهم- وتابعوهم بإحسان لابد لنا من معرفة التضليل الذي استعمله أعداء الإسلام في زماننا لمعنى الجهاد ضد الإسلام والمسلمين وموّهوه وروّجوه، حتى أصبح العالم الإسلامي لجهله وسذاجته وولعه بالشهوات الدنيوية يكاد يرى ما موّهه أعداء الله صواباً، بل ولا أعدُّ مغالياً أن المعظم قد استصوبه حتى عطلوا الجهاد ورضوا بالذل، وحصروه في الدفاع عن النفس والوطن إذا اعتدي عليهم، وأنه دفاع شخصي لأمة من الأمم بالمفهوم الحالي، وأن الإسلام نحلة من النحل، بالمفهوم الحالي أيضاً تقوم به طائفة من الطوائف فيما بينها، وحين لا تقبل فكرتها عليها أن تسيح في الأرض، وتعرض فكرتها على الآخرين، وتقارع عليها بالحجة فقط، فمن اقتنع بالفكرة واعتنقها فذاك، ومن لم يقتنع لا سبيل إليه، فالأمم أحرارٌ في عقيدتهم ومبادئهم، وليس للأمة الإسلامية أن تجاهد

(١) رواه البخاري ومسلم .

إلا إذا اعتُدي عليها، وأن دين الله محسوبٌ كسائر الأديان الباطلة والمحرّفة والفاسدة والظالمة، بل إنه ربما يكون في هذا الزمان أضعفها لضعف أمته بين الأمم، إن هذا الخطأ الأساسي الذي حمله هذا التمويه والترويج في المسألتين أرخى سدوله على حقيقة الدين الإسلامي بأسره، وقلب الأمر ظهراً لبطن، وجعل موقف المسلمين في العالم ضيقا حرجاً لا يرضاه الله، وتعاليم الإسلام تأباه، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

الإسلام هو الحياة ...

فعلى المسلمين أن يفيقوا ويعرفوا دين الإسلام كما عرفه صحابة رسول الله ﷺ والسلف الصالح من بعدهم، فالإسلام هو دين الله في أرضه، ورضيه لعباده ولم يقبل أيَّ دينٍ غيره، والأرض وما عليها خلق الله وعبيده، وأنه لا سعادة ولا حياة سعيدة للأمة في الأرض إلا إذا اعتنقت دين الإسلام، وقامت بمبادئه أحسن قيام، وسعت جادة مجاهدة على نشره بين الأنام، حتى يظهر ويعلو على كل الأديان، ويكون الدين كله لله، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[1] ، ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[2].

الإسلام دين كامل...

إن الإسلام ليس مجرد مجموعة من العقيدة الكلامية، وجملة

(١) سورة آل عمران آية (٨٥).
(٢) سورة يوسف آية (٤٠).

من المناسك والشعائر كما يفهم من معنى هذا الدين اليوم، بل الحق أن الإسلام نظام كامل شامل لكل مصادر الحياة، وتصرفات الأحياء ليكون صراطاً مستقيماً ومعبراً سليماً إلى حياة دائمة كريمة، ويريد الله أن ينسخ به سائر النظم الباطلة الجائرة الجارية في العالم، ويستبدلها بنظام صالح ومنهاج عادل، فيه للإنسانية كلها النجاة من أدواء الشر والطغيان، ويضمن لها السعادة والفلاح في العاجلة والآجلة، بغض الطرف بأنه يسعى لسعادة أمة دون أمة أو النهوض بشعب دون شعب، ولا يهمُّه أن يملك الأرض ويستولي على هذه المملكة أو تلك، وإنما يهمه سعادة البشر وفلاحهم.

وله فكرة خاصة ومنهاج عملي مختار من الله تعالى لسعادة المجتمع البشري، والصعود به إلى معارج الفلاح والكرامة، وأن غايته استعلاء فكرته، وتعميم منهجه، وإقامة الحكومات وتوطيدها على أساس هذه الفكرة، وهذا المنهج يصرف النظر عمن يحمل لواء العدل والحق بيده، ومن ينتكس برأيه عدوانه وفساده، ويتطلب إصلاح كل ما على الأرض ولا يقنع بقطعة أو أجزاء منها، وإنما يتطلب ويستدعي المعمورة الأرضية كلها؛ ليتمتع الجنس البشري جميعه بفكرة السعادة البشرية ومنهاجها العملي الذي أكرمها الله به، وفضله على سائر الأديان والشرائع، ويتطلب من المسلمين بذل الجهد واستنفاد المساعي؛ للقضاء على النُظم الباطلة واستبدالها بنظام الإسلام حسب الفكرة الإسلامية المنزلة من عند الله، وظهوره على الدين كله ولو كره المشركون، وعليهم أن يكون جهادهم هذا لا يقصدون من ورائه شيئاً من النفوس والنفائس إلا تأسيس ذلك النظام العادل الحق بين الناس،

ولا يبتغي بذلك بدلاً في هذه الحياة الفانية، ولا يخطر بباله أثناء الجهاد المتواصل لإعلاء كلمة الله، وأن يسمو بنفسه وعشيرته من الاستبداد بزمام الأمر وتبوّء منصب الطواغيت الفجرة بعدما يعزل غيره من الجبابرة والمتكبرين عن مناصبهم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾[1]، إن الإسلام لا يخاطب سكان هذه الكرة باسم العمال أو الفلاحين أو المتمَوِّلين، أو.. أو.. إلى آخر الأحزاب الضيقة، وإنما يخاطبهم: يا بني آدم، يا أيها الناس، بصفة كونهم أفراد الجنس البشري، فمن استجاب فهو مؤمن، ومن لم يستجب فهو كافر، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾[2].

الغاية من الأمة الإسلامية...

وما إن تتكون هذه الأمة حتى تبدأ بالجهاد في سبيل الله، الغاية التي أنشئت من أجلها، فعليها أن لا تألوا جهداً في القضاء على الشر والفساد مهما كان خطره، وتستنفد جهودها لإقامة الحق والعدل في الأرض.

فإن لم تبذل هذه الأمة الجهد لما ذكر ولم تجاهد حق جهادها في هذا السبيل فاتتها غايتها، وقصرت عن تحقيق البُغية التي أنشئت

(١) سورة النساء آية (٧٦).
(٢) سورة محمد آية (١-٣).

لأجلها، ولا يظن أحد أن دين الإسلام مجرد جماعة من الوعاظ المبشرين يعظون الناس في المساجد، ويدعونهم إلى مذاهبهم ومسالكهم بالخطب والمقالات، ليس الأمر كذلك، وإنما هو أمة أنشئت لتحمل لواء العدل بيدها ليكونوا شهداء على الناس، ومن مهمتهم من أول يوم أن يقضوا على منابع الشر والعدوان، ويقطعوا دابر الجور والفساد في الأرض، ويقيموا دين الله وحجته حتى يتفيأ ظلالها القاصي والداني دون اعتراض عليه.

الدولة من ضروريات الدين...

وتبين مما سبق ذكره: أن الدين الإسلامي لا بد له من امتلاك ناصية الأمر، ولا مندوحة له من القبض على زمام الحكم، ويكون بأيدي رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر، ولا يريدون علوًّا في الأرض ولا فساداً، فالحق ظله وارف، وخيره عام وشامل، لا يختص ببيئة دون بيئة، ولا قطر دون قطر، فأينما وجد الإنسان مقهوراً فالحق من واجبه أن يدركه ويأخذ بحقه وينتصر له، كما بين ذلك سيدنا أبو بكر الصديق بقوله: [أيها الناس: الضعيف قوي حتى آخذ الحق له، والقوي ضعيف حتى آخذ الحق منه]، ومهما أصيبت الإنسانية في أبنائها المستضعفين فعلى العدل ومبادئه والحاملين له أن ينتصروا لهم من الظالمين، ويستردوا لهم حقوقهم المغصوبة، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾[1]، فمن واجب الأمة الإسلامية المجاهدة الذي

(١) سورة النساء آية(٧٥).

لامناص لها منه بحال من الأحوال ألاَّ تدخر جهداً في توسيع نطاق هذا النظام، وبسط نفوذه في مختلف أرجاء الأرض؛ لتتمكن من نشر دين الله، وإقامة مبادئه الربانية في البشرية وعلى وجه المعمورة بحرية، وتعميم فكرها ونظرياتها كاملة لسكان المعمورة على اختلاف بلادهم وأجناسهم وطبقاتهم دون أيِّ عقبة تقف في وجه نشره؛ ليتلقوا الدعوة بالقبول، ويدينوا بهذا المنهاج الرباني الذي يضمن لهم السعادة في الدنيا والآخرة، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1]،وبجانب آخر يشمروا عن ساق الجد والاجتهاد ويقاوموا النظم الجائرة والمناقضة لقواعد الحق والعدل بالقوة والجهاد بما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً؛ إرغاماً لأهل الزيغ والعناد، وتقيم مقامها مبادئ الإسلام.

المنهج النبوي الإصلاحي في الدين...

تلك الخطة التي سلكها والمنهاج الذي اتجه فيه خاتم الرسل ﷺ ومن جاء بعده، وسار على نهجه من الخلفاء الراشدين، فإنهم بدؤوا ببلاد العرب، حتى أشرقت شمس الإسلام في آفاقها، ودانت لدولته، ورضيت بحكمه، وأصبحت دولة إسلامية.

دعا النبي ﷺ الملوك والأمراء والرؤساء في مختلف بقاع الأرض إلى دين الحق والإذعان لأمر الله، فمن استجاب وآمن انضم إلى الدولة الإسلامية وأصبح من أهلها، والذين لم يستجيبوا ويلبوا دعوتها شرع في جهادهم بوسائل الجهاد المتاحة حتى يتمكن دين الله وينتشر للأفراد بدون فتنة.

---

(١) سورة الروم آية (٣٠).

ولما استخلف الصديق ﷺ بعد لحوق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى حمل على الدولتين المجاورتين لدولة الإسلام وهي الفرس والروم اللتان بلغ من عتوهما وتماديهما في الغي والاستكبار في الأرض ما طبق شهرته الآفاق، وبلغت هذه الحملات التي بدأ بها الصديق ﷺ غايتها في عصر الفاروق ﷺ ،والذي يرجع إليه الفضل العظيم والفتح الكبير للإسلام وتوطيد دولة الإسلام حتى تشمل ظلها الوارف تلك الأقطار جميعاً.

إقامة العدل لايكون اعتداء ومحو الظلم لايكون خواعاً...

فهل تلك الفتوحات التي بدأت على عهد الرسول ﷺ ،وسارت في طريقها تعد اعتداء على الآخرين كما يزعم بعض المستشرقين والمتأثرين بمزاعمهم؟ فما كان هذا الذي جاء ليبدل واقع الأرض المؤلم بواقع الشرف والسعادة والحرية والأمن أن يكون اعتداء، وما كان رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون لينخدعوا عن حقيقة هذا الدين.

اللهم فقهنا في ديننا واجعله ظاهرًا ظافرًا على الأرض وما عليها، إنك على كل شيء قدير، آمين.

لماذا شُرع الجهاد؟...

وما شرع الجهاد إلا للدفع بهذا الدين القويم حتى يتحقق في حياة الناس جميعاً، وتظهر سيادة منهج الله وسلطانه على كل المعمورة، فهل ترى أن سيدنا رسول الله لما طبق السلام والإسلام في الجزيرة العربية توقف عن الدفع بالدين، وأن أبا بكر وعمر وعثمان ﷺ لما

كانوا قد أمنوا عدوان الروم والفرس على الجزيرة كانوا يقعدون عن الدفع بالمد الإسلامي إلى أطراف الأرض وتوسيع سلطان الدين حتى يغمر كل سكانها؟ وهل ترى أن الجهاد باللسان والبيان سيدفع الفتن والعقبات عن المسلمين وسلطان الدين فوق الأراضي التي تحقق عليها؟...كلا، وإنما يأتي دور اللسان والبيان حين يخلّى بينهما وبين الأفراد، فتخاطبهم وهم مطلقو السراح من تلك المؤثرات على الفهم، أما حين تكون تلك العقبات موجودة فما تزال إلا بالقوة لنتمكن من مخاطبة الإنسان وهو طليق من تلك الأغلال.

الجهاد ضرورة من ضروريات الدين...

ومن ذلك نفهم أن الجهاد ضرورة من ضروريات الدين وليس شيئاً ثنائيًّا عارضاً مقيداً بحالة تذهب وتجيء كما يروجه المستشرقون ويتوهمه السذج المهزومون.

إن جدّية النصوص القرآنية في الجهاد وجدّية الأحاديث النبوية التي تحرض وتحض عليه وجدّية الوقائع الجهادية في صدر الإسلام وعلى المدى الطويل من تأريخه تؤكد لكل مسلم أهمية الجهاد وضروريته وحتميته للدعوة الإسلامية ،وانطلاقها وضمان حريتها ودوام سلطانها، وشمول ظلها الوارف على المعمورة وسكانها، وبدونه لا يمكن تحقيق شيء مما ذكر.

وبما ذكر نكون قد مهدنا للدخول في المقصود، الذي هو (**العبر والعظات من جدول الغزوات**) مفتتحين لذلك بأخذ إطلالة إجمالية على غزوات الرسول ﷺ وبعوثه مع ما كان عليه من قلة

العدة والعدد وضعف العتاد وضيق الوقت؛ لنعتبر ونتعظ بالجدّية العالية التي لا يكاد يبلغها أحد من المسلمين بعدهم مهما توفرت له الوسائل الجهادية.

لقد خاض الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم من أجل رفع راية الإسلام، وترسيخ دعائم الدولة الإسلامية، وتوسيع رقعتها، والدفع بها إلى العالم؛ لإعلاء كلمة الله عدداً من الغزوات، قاد فيها بنفسه جيش المسلمين، كما بعث عدداً من السرايا في مهمات قتالية واستطلاعية، وكان يقول: «**لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجد سعةً فأحملهم، ولا يجدون سعةً ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل**»[1].

قال الإمام النووي - في شرح مسلم -: قد اختلف أهل المغازي في عدد غزوات النبي ﷺ وسراياه، فذكر ابن سعد[2] وغيره عددهن مفصلات على ترتيبهن فبلغت سبعاً وعشرين غزاة وستة وخمسين سرية قاتل في تسع منها اهـ. **قلت**: والتسع كالأمهات للغزوات وبقيتها مع السرايا التي تقع وراء كل غزوة منها إما تمهيدًا أو امتداداً لها.

خاض ﷺ كل ما ذكر من السرايا والغزوات في سبع سنوات وستة أشهر، باعتبار أن كل ثلاثين يومًا لا يخلو من غزوة أو سرية، ولما كانت البعوث والسرايا مقدمات للغزوات، وللوقائع منها

(١) رواه مسلم في الإمارة رقم (١٨٧٦) والبخاري في الجهاد والنسائي والموطأ.

(٢) هو أحمد عبد الغفور عطار، وبين عدد الغزوات وأسماءها وتواريخها والسرايا. وذلك في المجلد الثاني من الطبقات الكبرى.

والمعارك كالبذرة للنبات، وبمعرفتها تظهر الأسباب والنتائج والمناسبات، فذكرت الأهم منها على ترتيب السنوات، كرافد لهذا المختصر؛ لتوضيح الجدول بالعبر والعظات، فأقول مستمدًّا من الله العون والثبات:

كيف كان بدء الجهاد ؟ ...

ولما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة واستقر به القرار، وأقر الله عينه بألفة المهاجرين والأنصار، وقويت شوكة المسلمين باجتماع الكلمة والدار، أذن الله لرسوله والمؤمنين بالجهاد والانتصار، ممن ظلموهم وشرّدوهم ونهبوا أموالهم وقتلوا نسائهم وأطفالهم واستضعفوهم في الأرض بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ ﴿٤٠﴾﴾ (١).

التخطيط أولاً...

وتنفيذاً للإذن رسم القائد الأكبر سيدنا رسول الله ﷺ الحركة الجهادية الإسلامية للمجاهدين، محدداً لهم الأهداف لينطلقوا ظافرين، أولاً: السيطرة على الطريق التجارية للعدو، **وذلك لأمرين، أحدهما**: إخافة العدو وإضعافه، **وثانيهما**: إظهار قوة المسلمين ودولتهم، والتقوِّي في حالة الظفر بشيء من أموال العدو، واختار النبي ﷺ لبسط هذه السيطرة **أمرين أيضاً، أحدهما**: عقد معاهدات حلف، وعدم اعتداء مع القبائل المجاورة لهذه الطريق والمستوطنين بينها وبين المدينة المنورة، **وثانيهما**: إرسال البعوث

(١) سورة الحج آية (٣٩-٤٠)

واحدة تلو الأخرى إلى هذه الطريق التجارية.

وعلى ضوء التخطيط النبوي بدأ التحرك بالغزوات والسرايا أشبه ما يكون بالدوريات الاستطلاعية؛ لمعرفة الطرق المحيطة بالمدينة والمسالك المؤدية إلى مكة، وعقد المهادنات مع القبائل حول تلك الطريق وإظهار القوة والتمكين، والاستعداد للجهاد في سبيل هذا الدين، وذلك في صفر عام ٢هـ الموافق أغسطس ٦٢٣م على رأس سنة وشهرين من الهجرة النبوية، والتي اشتملت على ثمان غزوات وأربع سريات:

أولها: غزوة الأبواء، قال ابن إسحاق: وفي صفر على رأس اثني عشر شهراً وعشرة أيام من الهجرة غزا رسول الله ﷺ غزوة ودّان يريد قريشاً وبني ضمرة من كنانة فوادعه مخشي بن عمرو الضمري، ورجع إلى المدينة، وتلتها سريتان لعبيدة وحمزة.

ثم بواط من ناحية رضوى، المكان الذي انتهى إليه النبي ﷺ في غزوته الثانية، ولم يلق كيدًا، وفي صحيح مسلم[1] عن جابر رضي الله عنه قال: سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بواط وهو يطلب المجدي بن عمرو الجهني، وكان الناضح يتعقبه منَّا الخمسة والستة والسبعة، ثم ساق الحديث الطويل المشتمل على معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ.

ثم ذو العشيرة خرج رسول الله ﷺ في خمسين ومائة، وقيل: في مائتين من المهاجرين على ثلاثين بعيرًا، يعتقبونها بطلب عير قريش، فبلغ العشيرة بطن ينبع، فوجد العير قد مضت إلى الشام فوادع بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع ولم يلق كيدًا،

(١) أخرجه في كتاب الزهد والرقائق باب حديث جابر الطويل برقم (٣٠٠٩) اهـ

وتلتها سرية الخرار.

ثم خرج رسول الله ﷺ في طلب كرز بن جابر الفهري، وكان أغار على سرح المدينة وانتهى فيها إلى وادٍ يقال له: سفوان من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر، وتسمى بدرٍ الأولى، وتلتها سرية عبد الله بن جحش، ثم تلتها بدر الكبرى، وتلتها ثلاث غزوات بحسب ترتيب العامري في بهجة المحافل. وإليك الجدول في الأربع الأولى.

* * *

(العبر والعظات من السرايا والغزوات للعام الثاني من الهجرة)[1]

المسلسل	اسم الغزوة	الموقـع	التأريـخ	السبـب	الخليفة على المدينة	حامل لواء المسلمين	قوات المسلمين	قوات المشركين	مجمل النتائج
١	الأبواء ودان	قريب الجحفة ٩٦م- ٤٠كم	صفر- أغسطس ٢هـ -٦٢٣م	بريد قريشاً مترصداً لعيرها ليثأر للمسلمين	سعد بن عبادة	حمزة بن عبد المطلب	سبعون مقاتلاً من المهاجرين	عير قريش ومرافقوها	لم يلقَ كيداً وعقد حلفاً مع بني ضمرة
٢	بواط رضوى	فرعا جبل يحجبنة ٤٨م- ٢كم	ربيع الأولى - سبتمبر ٢هـ ٦٢٣م	بريد عير قريش ليمنعها من تجارة الشام	سعد بن معاذ	سعد بن أبي وقاص	مائتا مقاتل من المهاجرين	مائة مقاتل من قريش وألفان وخمسمائة جمل	لم يلقَ كيداً وفاته المدد
٣	العشيرة	موضع ينبع ١٠٨م- ٤٠كم	جمادى الأولى -نوفمبر ٢هـ٦٢٣م	بريد عير قريش وتجارتها ليصد فتنتها عن المسلمين	أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي	حمزة بن عبد المطلب	١٥٠ – ٢٠٠ مقاتل من المهاجرين	أربعون مقاتلاً وألف بعير	لم يلقَ كيداً وعقد حلفاً مع بني مدلج
٤	سفوان بدر الأولى	واد في بدر ٩٦م- ٤٠كم	جمادى الآخرة- ديسمبر ٢هـ ٦٢٣م	طلب كرز الفهري النهي أغار على سرح في المدينة	زيد بن حارثة	علي بن أبي طالب	سبعون مقاتلاً من المهاجرين	كرز بن جابر الفهري ومرافقوه	لم يظفر بكرز ومرافقيه

(١) الغزوات على ترتيب العامري في البهجة.

بأربع سرايا وأربع غزوات تمهيدية لوقعة بدر ابتداء الجهاد والعراك الدامي بين المسلمين والمشركين من قريش التي بغطرستها أذاقت المسلمين الويلات؛ حتى أنها أرادت قتل رسول الله ﷺ، وأذن الله له بالهجرة، وفي إثرها أذن الله له بالجهاد ووعده بالنصر والتمكين.

وهذا بيان السرايا:

قال العامري في البهجة: [وفي مرجع رسول الله ﷺ من غزوة الأبواء وقبل أن يصل المدينة حيث عقد أول راية **لسرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب** وبعثه في ثمانين راكباً من المهاجرين، ولقي جمعاً من قريش عددهم مائتان عليهم عكرمة بن أبي جهل، وتقابل الجيشان ولم يقع قتال، وكانت الراية البيضاء بيد مسطح بن أثاثة بن عبد المطلب.

ثم **سرية حمزة بن عبد المطلب** إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين مقاتلاً من المهاجرين، فلقي أبا جهل في ذلك الساحل في ثلاثمائة راكب، وحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان مواعداً للفريقين.

وفي مرجعه من العشيرة **بعث سعد بن أبي وقاص** في ثمانية رهط من المهاجرين حتى بلغ الخرّار من أرض الحجاز، ولم يلقَ كيداً فرجع].

وبالأربع الغزوات التي أتبعتها الثلاث السرايا أحكم المجاهدون قبضتهم على الطرق والمسالك التجارية لقريش وأخافتهم أشدّ الخوف، وحقّقوا بذلك الحصار الاقتصادي على عدوهم، وأحسّت قريش بذلك الحصار، وأصبحت يساورها

القلق والاضطراب من ذلك، وفهموا وتأكدوا بأنّ تهديداتهم باستئصال المسلمين في عقر دارهم لم يُجْدِ شيئًا، وقالوا: إن محمداً وأصحابه عوروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه فما ندري أين نسلك، وإن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا فلم يبقَ لها بقاء، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام. ودارت المناقشة بينهم، وأشار بعضهم بتنكب طريق الساحل، وعليهم أن يسلكوا طريق العراق، وهي طريق شاقة وطويلة تخترق نجداً إلى الشام وتمر في شرقي المدينة على بعد كبير منها.

وكانت قريش تجهل هذه الطريق كل الجهل ولا يمكنها سلوكها إلا بدليل، وكانت تظن أن المسلمين بالمدينة لا يستطيعون أن يقطعوا ثلاثمائة ميل ويعترض عيرهم ورجالهم، ويرون أنهم قد أمنوا تجارتهم بسلوك هذه الطريق، وأن في عدم الظّفر بالمشركين الذين أغاروا على المدينة بقيادة كرز الفهري؛ حفظاً لماء الوجه لهم في الغطرسة والتهديد، لكن القيادة العبقرية للنبي ﷺ وحسن التخطيط كفيلة بالقضاء على قريش وتجارتها وتحطيم هوسها الذي هو أوهن من بيت العنكبوت.

وحينما رجع رسول الله ﷺ من مطاردة كرز ولم يظفر به بعث فوراً سرية أميرها عبد الله بن جحش إلى بطن نخلة، ولقيت هناك تجارة قريش وعيرها بقيادة ابن الحضرمي، فقتلت وأسرت واستاقت العير وما عليها إلى المدينة، ورجعت سالمة غانمة.

وبذلك تحقق للمشركين الخوف وتجسّد الخطر، وأن تجارتهم إلى الشام أمام خطر دائم ولم يبقَ لهم سوى طريقين: إما أن يأخذوا طريق السّلم والموادعة مع النبي ﷺ كما فعلت جهينة و بنو ضمرة، أو أنهم يقومون بحملة قوية يحققون بها تهديداتهم للمسلمين؛ لكن قريشاً بغطرستها اختارت الطريقة الثانية، وصمم صناديدهم وكبراؤهم على القيام بإبادة المسلمين في عقر دارهم، وهذا هو الطيش الذي جاء بهم إلى بدر، وفي بدر قضي الأمر. **وهذا نص السرية:**

سرية نخلة: [وفي مرجعه منها -أي: غزوة سفوان-: بعث ابن عمته **عبد الله بن جحش الأسدي** في ثمانية رهط من المهاجرين، وكتب له كتاباً أمره فيه أن ينزل بطن نخلة بين مكة والطائف، فيرصد بها عير قريش ولا يستكرهنَّ أحداً من أصحابه، وقال له: «**لا تفتح الكتاب حتى تسير يومين**». فمضى عبد الله ومعه أصحابه، لم يتخلف أحد منهم إلا أن سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان تخلفا فوق الفرع في طلب بعير لهما أضلاه.

ولما نزلوا نخلة مرّت بهم عير لقريش تحمل تجارة فيها عمرو بن الحضرمي وثلاثة معه، فقتلوا ابن الحضرمي وأسروا اثنين وفرّ واحد، وذلك آخر يوم من جمادى الآخر، وكانوا يرون أنه من جمادى وهو من رجب.

وكان ذلك: أول قتل وأسر في المشركين، وأول غنيمة في الإسلام، فقال المشركون: قد استحل محمد الشهر الحرام، وعيروا المسلمين بذلك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، ووقّف العير والأسيرين حتى نزل قوله تعالى: «﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ

قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1] .

فقسم رسول الله الغنيمة ووقف الأسيرين حتى قدم سعد وصاحبه وفاداهم]. اهـ كلام العامري.

قال الزواك: [وكان أهل مكة قد بعثوا بفدائهما، فقال: بل نوقفهما حتى يأتي سعد وعتبة، فإن لم يقدما قتلناهما بهما، فلما قدما فاداهما].

ولا شك أن هذه السرية كانت ضربة قاضية على المشركين وغطرستهم وحميتهم وتهـديدهم للمسلمـين، فآلمتهم وتركتهم يتقلبون على مثل الجمر، حيث قُتِل حليفهم وأُسِر أبناؤهم وأُخِذت أموالهم ، وتأكد لديهم ما يلي:

١ـ جسدت أمام المشركين الخطر الحقيقي الذي كانوا لا يعتبرونه خطراً، وحسوا أنهم وقعوا فيما كانوا يخشون الوقوع فيه .

٢ـ علموا أن المدينة في غاية من التيقظ والتربص بهم تترقب كل حركة لهم من حركاتهم التجارية والحربية وترد عليها بالمثل وأعظم من المثل؛ لأن السرية كانت ردًّا على إغارة كرز الذي أغار على المدينة، ولم يظفر به رسول الله ﷺ.

٣ـ تأكد لديهم أن المسلمين يستطيعون أن يزحفوا ثلاثمائة ميل تقريباً، ثم يقتلوا ويأسروا رجالهم، ويأخذوا أموالهم، ويرجعوا سالمين غانمين .

٤ـ كانت السبب لاستيعاب قادة المشركين وخروجهم إلى معركة بدر، حيث قالوا: أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟ كلا والله ليعلمن غير ذلك. وعندما تقابل القوم

(١) سورة البقرة آية (٢١٧)

وأشار عتبة بالرجوع وحمل دية القتيل، قال أبو جهل لعامر بن الحضرمي: قم فانشد خفرتك ومقتل أخيك .

٥ـ كانت السرية بمنزلة نزع الفتيلة؛ للمواجهة بين المسلمين والكفار، والصراع بين الحق والباطل؛ أخذاً مما أنزله الله تعالى إثر وقوع السرية من وجوب القتال والتحريض عليه، والتعليم لقانون القتال وقيم القتل والأسر والفداء وغير ذلك في سورة محمد. وكان أيضاً عين ما تقتضيه الأحوال الراهنة، وآيات الأمر بالقتال تدل بفحواها على قرب العراك الدامي بين الحق والباطل، وتبشر بالغلبة للحق في النهاية؛ لأن الله تعالى في أثناء الأمر بفرضية الجهاد عليهم يخاطبهم خطاب القوي المنتصر المتمكن ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ﴾[١]، ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ ﴾[٢]، ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾[٣] .

وهذا الخطاب والأحكام خطاب للجند المتغلب، وأنه الأمر الواقع أخيراً، ولم يصرح الله بالنصر بعثاً لهمم المسلمين؛ ليستنفدوا جهودهم ويعتمدوا على إيمانهم بالله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٤] .

٦ـ وبعد هذه الأوامر والإشارات زاد نشاط المسلمين وقويت عزائمهم، واشتاقت أنفسهم إلى الجهاد في سبيل الله، ولقاء العدو في معركة فاصلة، فحقق الله رجاءهم بغزوة بدر التي تولى الله

(١) سورة البقرة آية (١٩٠).
(٢) سورة البقرة آية (١٩١).
(٣) سورة محمد آية (٤).
(٤) سورة الأنفال آية (٤٥).

وقعتها بتقديره وتدبيره ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾[1]، وهناك تحقق الوعد بالنصر ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[2].

* * *

(١) سورة الأنفال آية (٤٢).
(٢) سورة محمد آية (٧).

(بدر الكبرى)

المسلسل	اسم الغزوة	الموقـع	التأريـخ	السبـــب	الخليفة على المدينة	حامل لواء المسلمين	قوات المسلمين	قوات المشركين	مجمل النتائج
٥	بدر الكبرى	بئر مشهور بين مكة والمدينة ٦٩م - ٤٠م	١٧ رمضان - مارس -٢هـ ٦٢٤م	يريد قريشاً متر صداً لعيرها ومتصدياً لنفيرها لقمع جبروتها ورد تهديدها للإسلام والمسلمين	بشير بن عبد المنذر	مصعب بن عمير العبدري	ثلاث مائة وثلاثة عشر مقاتلاً بعير ٧٠- درع ٦- خيل ٢	تسعمائة إلى ألف مقاتل خيل ١٠٠ - درع ٦٠٠	النصر المبين للمسلمين والهزيمة القادحة للمشركين

اعلم أن بدراً ملحمة شريفة من ملاحم الجنة العظام، وأول فتح للمسلمين، وأعظم معارك الإسلام، أعز الله فيها المسلمين على قلّتهم وضعف عتادهم واستعدادهم على جيش يبلغ ثلاثة أضعافهم مجهَّزين بأكمل العدة والعتاد، فقتلوا من صناديدهم الكفرة سبعين، وأسروا سبعين وغنموا ما غنموا، فتزلزلت أركان الكفر في مكة، وضعفت صياصي اليهود داخل المدينة، وذعر الأعراب في الجزيرة العربية.

وقد تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على فضلها وعظم موقعها وفضل شاهديها ومزاياهم على بقية الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-، فهذا جبريل عليه السلام يسأل رسول الله ﷺ: **كيف تعدون أهل بدر فيكم؟** فقال: «**من أفضل المسلمين**»، فقال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة. وفي حديث قصة حاطب المشهورة: «إن الله اطّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[1]»، ويكفي فضلاً وشرفاً لهم أن الله أمدهم بجنود السماء؛ لتشاركهم مقاتلة الكفار في المعركة في الأرض، وتأييده لهم بالنصر المبين من عنده، وقد سمى الله يومها في الكتاب العزيز ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[2]، وذكر وقعتها وتفاصيلها في كثير من السور، وخصّها بسورة الأنفال كاملة كتعليق رباني على هذه المعركة العظيمة يُتلى على مدى الزمن، فما يستطيع الكتّاب أن يصفوا ويتحدثوا بعد حديث الله عنهم في الكتاب، فمن أراد أن يعرف قدرها وقدر من حضرها فعليه بقراءة كتاب الله وتدبره، ففيه غُنية لمن ألقى السمع وهو شهيد، وما أجمل ما اقتطفه المباركفوري من روضة سورة الأنفال بعد ذكره لمعركة بدر الجليلة فقال: [القرآن يتحدث حول موضوع المعركة]:

١ـ إن الله لفت أنظار المسلمين -أولاً- إلى التقصيرات والتقاريظ الأخلاقية التي كانت قد بقيت فيهم وصدرت بعضها منهم؛ ليسعوا في تكميل نفوسهم وتزكيتها عن هذه التقاريظ، ثم ثنى بما كان في هذا الفتح من تأييد الله وعونه ونصره بالغيب للمسلمين،

(١) متفق عليه .
(٢) سورة الأنفال آية (٤١)

ذكر لهم ذلك؛ لئلا يغتروا بشجاعتهم وبسالتهم فتتسور نفوسهم الغطرسة والكبرياء، بل ليتوكلوا على الله ويطيعوه ويطيعوا رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام.

٢ـ ثم بيّن لهم الأهـداف والأغـراض النبيلة التي خاض الرسولﷺ لأجلها هذه المعركة الدامية الرهيبة، ودلهم على الصفات والأخلاق التي تسببت في الفتوح وفي المعارك .

٣ـ ثم خاطب المشركين والمنافقين واليهود وأسارى المعركة، ووعظهم موعظة بليغة يهديهم إلى الاستسلام للحق والتقيّد به .

٤ـ ثم خاطب المسلمين حول موضوع الغنائم، وبيّن لهم مبادئ وأسس هذه المسألة، ثم بيّن لهم من قوانين الحرب والسلم ما كانت الحاجة تمس إليها بعد دخول الدعوة الإسلامية في هذه المرحلة، حتى تمتاز حروب المسلمين عن حروب أهل الجاهلية، ويقوم لهم التفوق في الأخلاق والقيم والمثل، وليتأكد للدنيا أن الإسلام ليس مجرد وجهة نظرية، بل إنه يثقف أهله عمليًّا على الأسس والمبادئ التي يدعو إليها .

٥ـ ثم قرر بنوداً من قوانين الدولة الإسلامية التي تقيم الفرق بين المسلمين الذين يسكنون داخل حدودها والذين يسكنون خارجها .

ومن أحسن المواقع وأروع الأمثال والصدفات أن أول عيد يعيّد به المسلمون في حياتهم هو العيد الذي وقع في شوال سنة ٢هـ إثر الفتح المبين الذي حصلوا عليه في غزوة بدر، فما أروع هذا العيد السعيد الذي جاء به الله تعالى بعد أن توج هامتهم بتاج الفتح والعز، وما أروق منظر تلك الصلاة التي صلوها بعد أن

خرجوا من بيوتهم، يرفعون أصواتهم بالتكبير والتحميد، وقد فاضت قلوبهم رغبة إلى الله وحنيناً إلى رحمته ورضوانه، بعد ما أولاهم من النعم، وأيدهم به من النصر، وذكرهم بذلك قائلاً: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١)، اللهم أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا ذا الفضل والإحسان .

❊ ❊ ❊

وبعد غزوة بدر التي وطدت دولة الإسلام، وزعزعت الطوائف الكفرية بمختلف أصنافها، فقد قامت كل طائفة منهم برد فعل على تلك الهزيمة بمحاولات؛ لتحفظ بها ماء الوجه، ولكن جيش المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ في غاية من التيقظ والجاهزية، ويدرك تماماً حجم المسؤولية بعد النصر وما يلزمه من مهام، فعندما أحس بمحاولاتهم الآثمة ومحادتهم لله ورسوله، بادر بغزو كل طائفة منهم وأحبط كيدهم ومؤامراتهم.

(١) سورة الأنفال آية (٦٢)

مجمل النتائج	فر المشركون وغنم المسلمون خمسمائة بعير	تم إجلاؤهم من المدينة وغنم المسلمون دورهم وأموالهم وسلاحهم	فر المشركون تاركين أزوادهم، وأكثرها السويق، ولم يظفر بهم رسول الله ومن معه
قوات المشركين	قبائل سليم	سبعمائة مقاتل وثلاثمائة دارع	مائتا فارس من المشركين
قوات المسلمين	مائتا مقاتل راكبون	جيش المسلمين بالمدينة	مائتا مقاتل من المسلمين
حامل لواء المسلمين	علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-	حمزة بن عبد المطلب	ــــــــــــــــ
الخليفة على المدينة	سباع بن عرفطة	أبو لبابة بن عبد المنذر	أبو لبابة بن عبd المنذر
السبـــــــب	علم الرسول ﷺ أن بني سليم من غطفان يحشدون لغزو المدينة	نقض العهد بينهم وبين المسلمين بإيذاء امرأة من المسلمين، وقتل بسبب ذلك مسلم ويهودي	طلب أبي سفيان ومرافقيه من المشركين حين أغاروا على المدينة المنورة
التاريـــخ	شوال - إبريل ٢هـ ٦٢٤م	شوال- إبريل ٢هـ ٦٢٤م	ذو الحجة – يونيو ٢هـ ٦٢٤م
الموقـــع	ماء بنجد المدينة ٦٠م – ٢,٥مر	سوق بالمدينة المنورة	قرقرة الكدر ٦٠م – ٢٥مر
اسم الغزوة	بنو سليم الكدر	بنو قينقاع	السويق
المسلسل	٦	٧	٨

وفيما يلي نصُّ الغزوات، وما فيها من عبر وعظات:

قال المباركفوري: [إن معركة بدر كانت أول لقاء مسلح بين المسلمين والمشركين، وكانت معركة فاصلة أكسبت المسلمين نصراً حاسماً شهد له العرب قاطبة، والذين كانوا أشد استياء لنتائج هذه المعركة أولئك الذين مُنوا بخسائر فادحة مباشرة وهم المشركون، أو الذين كانوا يرون غزو المسلمين وغلبتهم ضربة قاصمة لكيانهم الديني والاقتصادي وهم اليهود، فكان هذان الفريقان يحترقان غيظاً وحنقاً على المسلمين﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾[1].وكانت للفريقين بطانة دخلوا في الإسلام حين لم يبقَ مجال لوقارهم، وهم عبد الله بن أبي وأصحابه، ولم تكن هذه الفرقة الثالثة أقل غيظاً من الأولين، فكانت هناك فرقة رابعة وهم البدو والضاربون حول المدينة، لم يكن تهمهم مسألة الكفر والإسلام، ولكنهم كانوا أصحاب سلب ونهب فأخذهم القلق لهذا الانتصار، وخافوا أن تقوم في المدينة دولة قوية تحول بينهم وبين اكتسابهم، فجعلوا يحقدون على المسلمين، وهكذا أحاطت الأخطار بالمسلمين من كل جانب، ولكن هذه الفرق تباينت في سلوكها إزاء المسلمين، وأخذ كل فريق الطريقة التي رآها كفيلة ببلوغ غايته.

فبينما كانت المدينة وما حولها تظاهر بالإسلام وتسير في طريق المؤامرات والدسائس والاستفزازات من الفرق المذكورة كانت فرقة من اليهود تعلن بالعداوة، وكانت مكة تهدد بالانتقام والأخذ بالثأر، والأعراب يحشدون ليغيروا على المدينة؛ لكن هناك عناية

(١)سورة المائدة آية (٨٢)

الله بالمسلمين، وعبقرية قيادة سيد المرسلين، واليقظة العالية في المجاهدين لعبت دوراً هاماً في القضاء على هذه الأخطار المحيطة بها، فكانت نصراً ورزقاً حسناً للمسلمين] .اهـ.

فأما **حشد الأعراب** فقد باغته النبيﷺ بمائتي راكب في عقر دارهم، ففرت الحشود وتركوا خمسمائة بعير، استولى عليها جيش المسلمين وغنموها.

وأما **يهود بنو قينقاع** فقد جمعهم رسول الله ﷺ وحذرهم نقمة الله، ودعاهم إلى الإسلام، فأبوا وزاد عنادهم، وغرتهم قوتهم وأموالهم، فاعتدى يهودي منهم على مسلمة في السوق، وقُتل بسبب ذلك اثنان مسلم ويهودي، فحاصرهم رسول الله عند ذلك خمس عشرة ليلة، وما تركهم إلا لإلحاح عبد الله بن أبي بن سلول، وأجلاهم من المدينة، وغنم دورهم وأموالهم وسلاحهم .

وأما **السويق**: فكانت أشبه بأعمال القرصنة، حيث دخل أبو سفيان بمائتي فارس في ضواحي المدينة مستخفياً تحت جنح الظلام، وأرسل مفرزة منهم إلى ناحية من المدينة يقال لها:«**العُرَيْض**»، فوجدوا أنصاريًّا وحليفاً له في حرث لهما هناك فقتلوهما، ورجعوا فارين خوفاً، وبلغ رسول الله الخبر، فسارع لمطاردة أبي سفيان وأصحابه، ولكنهم فروا ببالغ السرعة وتركوا تموينا‌تهم وأزوادهم، فبلغ رسول الله ﷺ في مطاردتهم إلى قرقرة الكدر، وفاته العدو، فرجع وحملوا معهم ما فرَّ عنه المشركون وأكثره السويق، فسميت غزوة السويق .

تلك نتائج الغزوات الثلاثة الناتجة عن آثار هزيمة المشركين

ببدر، وردود طوائف الكفر والغدر، فبدل الله ضررها نفعاً وضيقها وسعاً، كما أنه تخلل بين هذه الغزوات مؤامرات اغتيال لرسول الله ﷺ من صفوان بن أمية وعمير بن وهب، وإثارة فتن بين الأنصار من اليهود، فعادت المؤامرات والفتن نفعاً ووقاية من المحن.

وانتهى عام اثنين من الهجرة بثمان غزوات وأربع سريات انتهت بالنصر والتمكن للمسلمين، والذل والزلزال على الكافرين، والعبرة والعظة للمتقين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

(العبر والعظات من السرايا والغزوات للعام الثالث من الهجرة)

المسلسل	اسم الغزوة	الموقـع	التأريـخ	السبـب	الخليفة على المدينة	حامل لواء المسلمين	قوات المسلمين	قوات المشركين	مجمل النتائج
٩	ذو أمر – أنمار	وادٍ بقرية النخيل بنجد ٧٢م – ٣مر	محرم – يوليو – ٣هـ ٦٢٤م	علم الرسول ﷺ أن ثعلبة ومحارب يحشدون للإغارة على المدينة	عثمان بن عفان	ـــــــــــ	أربعمائة وخمسون مقاتلاً	قبائل ثعلبة ومحارب	لم يلقَ كيداً وفر المشركون ، وأقام بها شهراً
١٠	بحران	موضع بناحية الفرع ٢٤م – ١مر	ربيع الآخرة – ٣هـ ٦٢٤م	تحسباً من أيّ محاولة من قريش وحلفائها للإغارة على المدينة أو يريد قريشاً	ابن أم مكتوم	ـــــــــــ	ثلاثمائة مقاتل	قريش وحلفاؤها	لم يلقَ كيداً وأقام بحران شهرين ربيع الآخرة وجمادى الأولى ورجع إلى المدينة

بالغزوتين وسرية كان التمهيد لغزوة أحد.

فأما السرية: فهي سرية زيد بن حارثة، وكان من حديثها: أن قريشاً تجنبوا طريق الشام الساحلية، وسلكوا طريق العراق؛ لأنها في نظرهم أقل ضرراً عليهم من طريق الساحل؛ لبعدها عن المدينة كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وفي جمادى الآخرة من عام ثلاثة هجرية بلغ النبي ﷺ خروج عير قريش إلى الشام من طريق العراق، يقودها صفوان بن أمية، فجهز رسول الله زيد بن حارثة في مائة راكب، وأسرع زيد حتى دهم القافلة بغتة على ماء في نجد يقال له: «**قردة**»، فاستولى زيد وأصحابه على القافلة، ولاذ صفوان ومن معه بالفرار، وأسر دليل القافلة فرات بن حيان، وقسم رسول الله ﷺ هذه الغنيمة على أفراد السرية بعد أخذ الخمس، وأسلم فرات بن حيان على يد النبي ﷺ. انتهى حديث السرية.

* * *

والغزوتان مبينتان بالجدول، وهما تدريبيتان وتأهيليتان أكثر من أن يُراد منهما قتال عدو مقاوم، أو كمناورة لإذلال طوائف الكفر شديدة التحرق من بعد بدر وما تلتها من سرايا وغزوات، ولتغير الظروف والأحوال عما كان عليه المجاهدون قبل بدر فالمرحلة تحتاج إلى روح عالية، ونفوس زاكية، وعقول واعية، وأمة مؤمنة، متصلة بالله تعالى، بعيدة عن الأغراض الدنيوية الدنيئة، أمة لا يبطرها النصر، ولا يهز من عزائمها القتل، أمة راسخة صالحة لقيادة العالم، أمة ذات جاهزية ويقظة رفيعة.

فمن بعد وقعة بدر وما تلتها من غزوات ظلت المدينة المنورة في استنفار عام، وجاهزية قصوى، ويقظة عالية، لا يفارق رجالها السلاح حتى وهم في الصلاة؛ استعداداً للطوارئ، حتى أنهم كانوا يجعلون على أنقاب المدينة ومداخلها حرساً يحرسون رسول الله ﷺ، ويجعلون دوريات من المسلمين تجول حول الطرق التي يحتمل أن يسلكها المشركون؛ للإغارة على المسلمين، ولاكتشاف تحركات العدو والرد عليها، وإخمادها في مهدها، والحفاظ على الانتصارات التي مكنهم الله منها وأنعم بها عليهم.

ومن هذا القبيل كانت الغزوتان أعلاه والسرية، فكان المجاهدون متى ما أحسوا بأيِّ حركة للعدو طاروا، ويقيمون مدة كبيرة في المكان الذي تسمع بأن فيه نشاطاً للعدو ضد المسلمين كتحشد أو استعدادات أو سعي إلى وقيعة بالمسلمين؛ لتخمد تلك التحركات في مهدها، ولتحَسّس العدو بأن المدينة في مَنَعَة وقوة، وجيشها جاهز دائماً، ويعرف تماماً أن مهامه أكبر بعد الانتصار ومسؤوليته أعظم، وأنه أصبح معرَّضاً لكل الطوائف الكفرية، وبالأخص مشركو مكة، والمهم الأكبر في هذه الإقامة بالجيش خارج المدينة في التاسعة شهراً وفي العاشرة شهرين؛ لتدريبهم وتعليمهم وتزكيتهم وتأهيلهم لمسئوليتهم الكبرى، ولما سيصطدمون به في وقعة أحد من الاختبار العملي؛ لإيمانهم وعلمهم وعهودهم وأقوالهم وتمنياتهم للشهادة والموت في سبيل الله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[1] ، فموقع الآية يشير إلى هذا؛ لأنها جاءت في سياق التحدث عن وقعة أحد، وكذلك ما جاء في الأنفال يأمرهم فيها بأن يكملوا أنفسهم بذلك ويزكوها.

لكن سرية زيد كانت أشد وطأة على قريش، وكانت مأساة شديدة ونكبة كبيرة أصابت قريشاً بعد بدر، اشتد لها قلق قريش، وزادتها همًّا وحزناً؛ لتأكدها أن كيانها لا محالة ذاهب، ومصيرها إلى الهلاك واجب، وأن جيش المسلمين لم يُبقِ لهم مسلكاً يلتقطون أنفاسهم منه،فقد فلَّ جيشهم، وحطم سمعتهم، وأحكم حصارهم الاقتصادي من كل جانب، ولا يستطيعون أن يتعاملوا مع الواقع إلا بشيئين: إما الاستسلام والرضوخ لجيش المسلمين، أو القيام على الفور بحرب شاملة ومعركة فاصلة، يقضون بها على كيان المسلمين، بحيث لا يبقى لهم سيطرة على هذا أو ذاك، وهناك تستعيد مجدها التليد وعزها القديم، (وأنى لها ذاك)؟ ولكن كبرياء قريش وخيلاءها لم يدعها تعرف الحق، وحداها على الإصرار على اللقاء والمطالبة بالثأر، وكان كعب بن الأشرف من أشد اليهود حنقاً على الإسلام والمسلمين، وإيذاء لرسول الله ﷺ والمسلمين، وتظاهراً بالحرب للنبي ﷺ.

فبعث النبي ﷺ إليه محمد بن مسلمة في مفرزة قوامها خمسة نفر لقتله، فقامت المفرزة إلى محله وقتلته، وحين سمعت اليهود بمصرعِ طاغيتها دب الرعب في قلوبهم، ولم يستطيعوا بعدها إظهار أيِّ مقاومة للمسلمين أو مساندة للمشركين، وعلموا أن الرسول ﷺ لن يتوانَى في استخدام القوة حين يرى أن النصح لا يجدي، وبهذه

(١)سورة آل عمران آية (١٦٤).

الجاهزية والقوة لمواجهة الأخطار- التي كانت تحدث أو يتوقع حدوثها فيقضي عليها في مهدها - كانت تزيد من غيظ قريش وحنقها، ويجعلها تحسُّ أن أمامها عقبة كأداء وصخرة ملساء، ولا يمكنهم مقابلتها بجيشهم، ففتحوا باب التطوع لكل من أحب المساهمة في غزو المسلمين حتى جمعوا ثلاثة آلاف مقاتل،وزاد الطين بلة حينما رجع أبو سفيان خائباً من غزوة السويق، وزاد النار ذكاء ما لحقهم من خسارة فادحة التي قصمت فقار اقتصادهم سرية زيد، فكان عندهم من الهم ما لايقارن قدره، ولا تحتمل الجبال الصم أمره، فحينئذٍ زادت سرعة قريش في استعدادها الكامل للخوض في معركة تفصل بينهم وبين المسلمين قبل أن تصبح قريش أثراً بعد عين، فجهزت كل ما تستطيع جهازه للحرب، فكان سلاح النقليات لهذا الجيش ثلاثة آلاف بعير، ومن الفرسان مائتا فرس جنبوها طوال الطريق، ومن سلاح الوقاية سبعمائة درع، وخرج الجيش، وكانت الثارات القديمة والغيظ الكامن يشعل البغضاء في القلوب، وينبئ عما سوف يقع من قتال مرير.ثم واصل الجيش سيره، حتى نزل بجبل أحد في مكان يقال له: «**عينين**» فعسكر هناك، وخرج رسول الله ﷺ بجيشه وجاء أحداً من حرة بني حارثة بحيث لا يدركه العدو، ووصل أحداً وعسكر هناك وعبأ جيشه، وتقابل الجيشان. وفي غزوة أحد بالجدول البيان، ونتحدث عنها باختصار والله المستعان:

المسلسل	اسم الغزوة	الموقع	التأريخ	السبب	الخليفة على المدينة	حامل لواء المسلمين	قوات المسلمين	قوات المشركين	مجمل النتائج
١١	أحد	جبل شمال شرق المدينة	شوال – يناير ٣هـ ٦٢٥م	غزو المشركين للمدينة انتقاماً لمعركة بدر ونزلوا أحداً يمينين	ابن أم مكتوم	مصعب بن عمير	سبعمائة مقاتل معهم ١٠٠ درع	ثلاثة آلاف مقاتل مجهزة بأكمل الجهاز	مُنِيَ المسلمون بخسارة في الرجال ولم ينهزموا وانسحب المشركون دون نصر ضارين موعداً للقاء بعد عام ببدر
١٢	حمراء الأسد	موضع قرب العقيق ٨م	شوال – يناير ٣هـ ٦٢٥م	تحسباً من رجوع المشركين وإعلاناً لثبات المجاهدين وتهويناً لآلامهم	ابن أم مكتوم	علي بن أبي طالب	سبعمائة مقاتل	ألفان وتسعمائة وستون مقاتلاً	لم يلقَ كيداً وتابع المشركون انسحابهم إلى مكة حرصاً أن لا يجروا مكسبهم الهزيل

خرجت قريش بقيادة أبي سفيان في ثلاثة آلاف مقاتل تبغي الثأر من المسلمين لقتلاها في بدر، فتصدى لهم رسول الله بألف من الصحابة، وعند أطراف المدينة انخذل رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ بثلث الجيش متعللاً بأن رسول الله ﷺ خالف رأيه فعاد إلى المدينة، وبقي مع رسول الله ﷺ سبعمائة مقاتل استطاعوا أن يدحروا المشركين، ويزيلوهم عن مواقعهم، لولا نزول أكثر الرماة من الجبل مخالفين أمر رسول الله ﷺ ظنًّا منهم أن المعركة قد انتهت، مما أفسح المجال لخيَّالة المشركين بقيادة خالد بن الوليد قبل إسلامه أن تَلتفَّ على المسلمين من الخلف، وتقتل سبعين رجلاً، إلا أنها

فشلت في الاقتراب من رسول الله ﷺ.

وأبدى من بقي حوله شجاعة منقطعة النظير؛ مما دفع المشركين للاكتفاء بما نالوا، ومغادرة أرض المعركة على عجلٍ فلم يأسروا واحداً ولم يغنموا شيئاً.

وفي اليوم التالي:نهض رسول الله ﷺ بأصحابه على جراحهم، ولاحقوا المشركين إلى حمراء الأسد، فسمع المشركون بمسير المسلمين فولوا مدبرين حرصاً على مكسبهم الهزيل أن يفقدوه.

تلك **غزوتا أحد وحمراء الأسد** التي قام بها المشركون انتقاماً لمعركة بدر.

ومن معركة النصر والفرقان إلى معركة النصر على ضمير الإنسان، ومن معركة الجدل والمناظرة والبيان إلى معركة العمل بالعلم والميدان، ومن معركة التوجيه والتحذير والتنوير إلى معركة الاختبار والامتحان والتقرير، وإن كان النصر السابق خطير فالانتصار التالي كبير؛ لأنه انتصار المعرفة الواضحة، والرؤية المستنيرة للحقائق التي بينها الله في القرآن، واستقرار المشاعر على هذه الحقائق استقرار اليقين، وتمحيص النفوس وتمييز الصفوف، وانطلاق الجماعة المسلمة بعد ذلك، متحررة من غبش التصور وتمييع القيم وتأرجح المشاعر في الصف المسلم، وذلك بتميز المنافقين، ووضوح سمات النفاق وسمات الصدق في القول والعمل والشعور والسلوك، والتزام الطاعة والاتباع في المنشط والمكره، ورد الأمر إلى الله وحده في النصر والهزيمة؛ إذ كانت الجماعة المسلمة أحوج ما يكون لهذه الحصيلة الضخمة من حصيلة النصر والغنيمة.

لقد انتهت المعركة في ميدان الأرض ليبدأها القرآن في ميدانها الأكبر ـ ميدان النفس ميدان الحياة الشاملة للجماعة المسلمة ـ وكان فيما شاءه الله ودبره الخير العظيم من وراء الضرِّ والأذى والابتلاء.

فالمعركة الحربية في الإسلام ليست معركة عدّة وعدد منعزلة عن المعركة الكبرى في عالم الضمير، إنها ذات ارتباط وثيق بصفاء ذلك الضمير، وخلوصه وتجرده وتحرره من العوائق التي تقعده عن الفرار إلى الله، «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، وهذا ما يعالجه القرآن الكريم في التعقيب على هذه المعركة في نحو ستين آية من آل عمران، حيث عرّج فيها عن النهي عن الربا، والأمر بالإنفاق في السراء و الضراء، والطاعة لله ورسوله، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس والإحسان، و التطهر من الخطيئة، والاستغفار والتوبة وعدم الإصرار، فجعلها كلها مناط رضوان الله. ومنه نفهم أن هناك عمل في أغوار النفس وهناك عمل في ظاهر الحياة، وكلاهما عمل ونماء، فالانتصار على النفس وتزكيتها ضروري للانتصار على الأعداء في المعركة، أليس مخالفة رسول اللهﷺ نشأت من الطمع في الغنيمة، ومن غبش التصور نشأ عدم رد الأمور إلى الله، ومن الاغترار بالنفس والهوى نشأ تخلف عبد الله بن أبيّ ومن معه وهكذا؛ لأن الانشغال بالغنائم والطمع فيها هو السبب المباشر الذي قلب الموقف في المعركة، وبدّل النصر هزيمة، وفعل بالمسلمين الأفاعيل .

ولذلك بيّن الله الحكمة من وراء ما وقع بأنها تمييز الصفوف، وتمحيص القلوب، واتخاذ الشهداء، وإيقاف المسلمين أمام ما

تمنوه وجهاً لوجه؛ ليزنوا وعودهم وأمانيهم بميزان واقعي، ثم في النهاية محق الله الكافرين، تلك الحكمة من وراء الأحداث سواء كانت نصراً أو هزيمة.

إن الشدة بعد الرخاء، والرخاء بعد الشدة هما اللذان يكشفان عن معادن النفوس وطبائع القلوب، ودرجـة الغبش فيها والصفاء، ودرجة الهلع فيها والصبر، ودرجة الثقة فيها بالله، ودرجة الاستسلام فيها لقدر الله والتبرم منه والجموح من ذلك، وذلك الأمر الذي يترتب عليه الجزاء من الله تعالى، فالله لا يجازي عبيده بما يعلم منهم حتى يعلموه في ظاهر الحياة، والطريقة لذلك هي الابتلاء، والله بصير بما يعملون.

قال الإمام ابن حجر في فتح الباري : [قال العلماء: وكان في قصة أحد وما أصيب به المسلمون فيها من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة:

منها: تعريف المسلمين بسوء عاقبة المعصية وسوء ارتكاب النهي.

ومنها: أن عادة الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة، والحكمة من ذلك أنهم لو انتصروا دائماً، دخل في المؤمنين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انكسروا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين؛ ليتميز الصادق من الكاذب، وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيًّا على المسلمين، فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحاً، وعرف المسلمون أن لهم عدوًّا في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم.

ومنها: أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضماً للنفس وكسراً لشماختها، فلما ابتلي المؤمنون صبروا وجزع المنافقون.

ومنها: أن الله هيّأ لعباده منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن؛ ليصلوا إليها بصبرهم. ومنها: أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقها إليهم.

ومنها: أنه تعالى أراد محق أعدائه، فهيّأ لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه، فمحص بذلك ذنوب المؤمنين ومحق بذلك الكافرين.

وروى ابن أبي حاتم من طريق المسور بن مخرمة قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف: أخبرني عن قصتكم يوم أحد قال: اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَمَنَةً نُّعَاسًا ... ﴾[1].

* * *

تلك الدروس الخيّرة التي استفادها المسلمون من وراء مأساة وقعة أحد الجسيمة؛ لكنها في الظاهر أحدثت أثراً سيئاً على سمعة المسلمين، وحطت من هيبتهم، وأحاطت الأخطار بالمدينة من كل جانب، وهمت كل طائفة من المشركين واليهود أن تنال منهم، ولكن الله غالب على أمره، وهو وحده القادر على تحقيق نصره ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾[2].

(١) سورة آل عمران آية (١٥٤).
(٢) سورة التوبة آية (١١١).

وهكذا انتهى عام ثلاثة هجرية بأربع غزوات وسرية، كان فيها تمحيص وابتلاء المؤمنين، وتزكية وتطهير لنفوس المجاهدين، وتصفية للصف المسلم من المنافقين، وتهيئة الأسباب لمحق الكافرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

(تنبيه)

وفي الصمود ذلك اليوم للتحديات والاستشهاد في سبيل الله والثبات ما يجب أن تفرغ لمعرفته نفائس الأوقات، وتشنف لسماعه الأسماع والأبصار والذوات؛ حيث كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص وتأهيل من الله لعباده، وأكرم الله فيه من أكرمه بالشهادة، ومن بقي كانوا أثلاثاً: ثلثاً سليماً، وثلثاً طريداً، وثلثاً جريحاً، وممن أبلى حينئذ وعظم نفعه طلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، حتى قال النبي ﷺ في حق طلحة: «**هذا اليوم كله لطلحة**»، وفدى سعداً والزبير بأبيه وأمه.

ومن أعيان من أكرم بالشهادة يومئذ من السادة المهاجرين: أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء يوم القيامة **حمزة بن عبد المطلب** رضي الله عنه، والسيد القانت الأواب **عبد الله بن جحش بن رئاب** رضي الله عنه، والسيد القرم الهمام قديم الهجرة في الإسلام معلم الخير **مصعب بن عمير العبدري** رضي الله عنه، والسيد البائع نفسه من مولاه غير مغبون ولا ملوم شهيد بني مخزوم **شماس المخزومي**.

ومن السادة الأنصار النجباء الأبرار الجم الغفير والعدد الكثير، فمنهم السيد النقيب العالي المقام أبو جابر **عبد الله بن عمرو بن حرام**، والسيد الشريف المنيب **سعد بن الربيع النقيب**،،والسيد العلم مبرور القسم المبرأ والمعتذر **أنس بن النضر**، والمسارع إلى غرف الجنان **مالك بن سنان**، والسيد غسيل الملائكة المراقب حنظلة بن أبي عامر الراهب، والسيد أمير الرماة بعيد المرماة المسارع إلى الخير **عبد الله بن جبير**، والسيد الحريص على الشهادة المغرر في

ظلها بالجسد والروح **عمرو بن الجموح**[1]، والسيد الذي رضيه مولاه فدخل بغير صلاة الصادق الولي الأصيرم الأشهلي والسيد الضرغام عمير بن الحمام، والسادة السبعة النجباء الذي عرضوا أرواحهم دون روح المصطفى -رضي الله عنهم أجمعين- آمين.

* * *

(١) منه الجواز بالتغرير بالنفس في الجهاد .

(العبر والعظات من السرايا والغزوات للعام الرابع من الهجرة)

مجمل النتائج	النصر للمسلمين حيث أجلوا اليهود من المدينة وغنموا السلاح والدور والأموال	لم يلقَ كيداً وفرّ المحتشدون وكسرت شوكتهم	لم يلقَ كيداً حيث رجع المشركون خوفاً وانقلب المسلمون بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء
قوات المشركين	بنو النضير (اليهود)	قبائل غطفان ومحارب وثعلبة	ألفا مقاتل من المشركين
قوات المسلمين	جيش المسلمين المجاهدين بالمدينة	أربعمائة مقاتل	ألف وخمسمائة مقاتل
حامل لواء المسلمين	علي بن أبي طالب	ـــــــــــــ	علي بن أبي طالب رضي الله عنه
الخليفة على المدينة	ابن أم مكتوم	عثمان بن عفان	عبد الله بن رواحة
السبـــــــب	نقض العهد بينهم وبين الرسول ﷺ لتآمرهم على قتله غيلة ففضحهم الله	بلغ النبي ﷺ أن قبائل غطفان ومحارب يحشدون لغزو المدينة	الوعد بين جيش المسلمين والمشركين في غزوة أحد للقاء ببدر
التاريـــخ	ربيع الأولى - أغسطس ٤هـ - ٦٢٥م	ربيع آخر أو جماد أول - يونيو ٤هـ - ٦٢٥م	شعبان – يناير ٤هـ - ٦٢٦م
الموقـــع	موضع بعوالي المدينة ٢-٣م	في الفيافي حيث سكن البدو الرحل ٤٨م-٢مر	بئر بطريق مكة ٩٦م – ٤مر
اسم الغزوة	بنو النضير	نجد غطفان	بدر الموعد
المسلسل	١٣	١٤	١٥

لما كانت وقعة بدر قد أدخلت الذعر على كل الطوائف الكفرية، كالمشركين واليهود والمنافقين والأعراب في الجزيرة العربية كافة من المسلمين، فقد أرجعت إليهم الأمل وقعة أحد وما أصيب به المسلمون فيها، فعند ذلك كاشف اليهود والمنافقون والأعراب المسلمين بالعداء السافر، وهمت كل طائفة منهم أن تنال من المؤمنين، بل طمعت بأن تقضي عليهم وتستأصلهم، فلم يمضِ على المعركة شهران حتى تهيّأت بنو أسد للإغارة على المدينة، ثـم قامت قبائل عضل والقارة في صفر سنة ٤هـ بمكيدة تسببت في قتل سرية استطلاعية قوامها عشرة، أميرهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي، فقتلوهم جميعاً، ومنهم خبيب، وفي نفس الشهر قامت بنو عامر بمكيدة مثلها قتلوا فيها سبعين من الصحابة، وتعرف بوقعة بئر معونة، ولم تزل بنو النضير خلال المدة تجاهر بالعداوة حتى قامت في ربيع الأول بمكيدة تهدف إلى قتل النبي ﷺ وتجرأ بنو غطفان حتى همت بالغزو إلى المدينة في جمادى الأولى سنة ٤هـ.

لكن عناية الله بالمؤمنين وحكمة سيد المرسلين، والدروس الربانية والتربية العملية التي تعلمها المسلمون من وراء وقعة أحد جعلتهم كالجبال الرواسي، فلا تؤثر فيهم كثرة الضربات، ولا تزعزعهم رياح المكائد والابتلاءات، ولا تهزهم هزاهز المحن والمزعجات، فتراهم صامدين في سبيل الله، عارفين بحقيقة الحياة التي هي الموت لإعلاء كلمة الله، وعندهم أعلى رتب السعادة، من في الجهاد يفوز بالشهادة، صلتهم بالله على كل حال، وما لغيره في قلوبهم مجال، تلك الأمجاد التي غيرت لدى أعداء الله الموازين، وصرفت وجوههم عن تيارات الفتن للمسلمين، وأعادت

للمجاهدين هيبتهم المفقودة، وألبستهم دروع المجد والعز جديدة، فأول شيء أقدموا عليه بهذا الصدد: حركة المطاردة التي قاموا بها إلى حمراء الأسد؛ استجابةً لله ولرسوله على ما فيهم من جراحات وقلة عدد، فحفظوا بها قدراً كبيراً من سمعة الجيش، واستعادوا بها هيبتهم عند أهل الشرك والطيش، وبعدها قاموا بسرية أبي سلمة إلى بني أسد خزيمة الذين يحشدون لغزو المدينة، وخبرها أن النبي ﷺ بعث مائةً وخمسين مقاتلاً من المهاجرين والأنصار، وأمّر عليهم أبا سلمة، وعقد له لواءً فباغت أبو سلمة بني أسد في ديارهم قبل أن يقوموا بغارتهم، ففروا وتشتّتوا، وغنم المسلمون إبلاً وشاءً لهم استاقوها إلى المدينة، ورجعوا سالمين غانمين لم يلقوا كيداً، وكان ذلك في غرة محرم سنة ٤هـ، وبعدها في ٥ محرم بعث عبد الله بن أنيس، وذلك حين علم ﷺ أن خالد بن سفيان الهذلي يحشد الجموع لحرب المسلمين، فأرسل النبي ﷺ عبد الله بن أنيس ليقضي عليه، وظل عبد الله بن أنيس غائباً عن المدينة ثمانية عشر يوماً، ثم قدم يوم السبت لسبع بقين من محرم، وقد قتل خالداً وجاء برأسه، فوضعه بين يدي النبي ﷺ فأعطاه عصاً وقال: **هذه آية بيني وبينك يوم القيامة**، فلما حضرته الوفاة أوصى أن تجعل معه في أكفانه، ثم قام بثلاث غزوات بنفسه بدءًا ببني النضير، ثم نجد، ثم بدر الموعد، فحسم بها الآثار الناتجة عن وقعة أحد.

ومن العبر والعظات نستَلْهم كيف أعاد الله بنصره للمسلمين ما فات يقول نعتاً: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ [1]، فكان اليهود يظهرون الحقد والعداوة

(١) سورة المائدة آية (٢٨).

للمسلمين مع ما كان بينهم من عهود ومواثيق، ولكنهم ليسوا أهل حرب وضرب بل أهل دسٍّ ومؤامرات وغدر، وبعد وقعة بني قينقاع وقتْل كعب بن الأشرف استكانوا والتزموا الهدوء والسكوت، لكن بعد وقعة أحد تجرّؤا فكاشفوا بالعداوة والغدر، وأخذوا يتصلون بالمنافقين والمشركين من أهل مكة سراً ويعملون لصالحهم ضد المسلمين، وصبر النبي ﷺ حتى ازدادوا جرأة وجسارة بعد وقعة الرجيع وبئر معونة، فقاموا بمؤامرة تهدف للقضاء على النبي ﷺ، فحينها أمر بالاستعداد لقتالهم، ثم حاصرهم بست ليال، وأحرق بعض نخلهم، فخذلهم الله رغم وعد المنافقين بنصرتهم، وقذف في قلوبهم الرعب، فجلّوا عن المدينة إلى خيبر وغيرها، وقسمت أموالهم على المهاجرين وبعض الأنصار، وأنزل الله في هذه الغزوة سورة الحشر بأكملها، فوصف إجلاء اليهود وتخريبهم لبيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، وفضحت مسلك المنافقين، وبيّنت أحكام الفيء، وأثنت على الأنصار والمهاجرين، وبيّنت جواز القطع والحرق في أرض العدو للمصالح الجهادية في الدين، وأن ذلك ليس من الفساد في الأرض، وأوصى الله المؤمنين بالتزام التقوى والاستعداد للآخرة، وختم السورة بما بدأها من التسبيح والتقديس لله رب العالمين.

وبجلاء بني النضير دخلت الأفاعي من اليهود والمنافقين في جحورها ، وتفـرغ رسول الله لقمع الأعراب الذين آذوا المسلمين بعد أحد، وتواثبوا على بعوث المسلمين يقتلون رجالها في نذالة وكفران، ويحشدون لغزو المدينة، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في أربعمائة مقاتلٍ يجوس فيها نجداً، ويلقي بذور الخوف في أفئدة

أولئك البدو القساة، الذين مردوا على النهب والسلب وكسر شوكتهم، وتفرّقوا خوفاً وحذراً في رؤوس الجبال وبطون الأودية، ثم رجعوا إلى المدينة ولبثوا فيها أياماً يستعدون فيها للخروج إلى بدر الموعد، وخرج رسول الله ﷺ في ألف وخمسمائة إلى بدر وأقام بها ينتظر المشركين، وخاف المشركون من لقاء المسلمين، فرجعوا من أثناء الطريق، وانقلب المسلمون بفضل الله ونعمة لم يمسسهم سوء، وقد انتقل زمام المفاجأة بأيدي المؤمنين، وتوطدت هيبتهم في نفوس اليهود والأعراب والمشركين، وسادوا على الموقف على اختلاف الأحوال والميادين، وانتهى عام أربع من الهجرة بالثلاث الغزوات والأربـع السريات، التي حول الله بها مجرى الأيام لصالح المسلمين بكل الاتجاهات، وتمخضت لياليها وأيامها عن بسط نفوذهم وتوطيد سلطانهم، واستعادة ما فات وتحقق نصر الله لأوليائه في جميع الحالات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

❊ ❊ ❊

(تنبيه وملاحظة)

غزوة نجد وغطفان تلتبس على كثير من أهل السير من حيث المكان بغزوة ذات الرقاع، وذلك وَهَمٌ منهم؛ لأن غزوة ذات الرقاع شهدها أبو موسى الأشعري وأبو هريرة، وصلى فيها النبيﷺ صلاة الخوف، **والصحيح**: أن غزوة ذات الرقاع غير هذه الغزوة؛ أخذاً من التاريخ، فغزوة ذات الرقاع بعد خيبر، كما قاله الإمام البخاري -رحمه الله- ؛ لأن **أبا موسى الأشعري** جاء بعد خيبر من الحبشة. وقال في الهدي: أن ذكر ذات الرقاع في تاريخ أربع هجرية مشكل جداً، **والصواب**: تحويل غزوة ذات الرقاع إلى بعد الخندق بل إلى بعد خيبر، فقد تبين لنا وَهَمُ أهل السير.اهـ

ولو تتبعنا سرد أهل السير للقصة نجدها ملفقة من الغزوتين في التاريخ والأحـداث، واللذان شهداهما والمستخلفين على المدينة والعدد والسبب، فأما التاريخ فنجد في الرابعة، والرقاع في السابعة، وأما الأحداث فحديث جابر في نجد، وصلاة الخوف في الرقاع، وشهد الرقاع أبو هريرة وأبو موسى ولم يشهدا نجداً، واستخلف عثمان بن عفان في نجد وأبو ذر الغفاري في الرقاع، والعدد فنجد أربعمائة، والرقاع سبعمائة، والسبب فنجد؛ لقمع الأعراب الذين آذوا المسلمين بعد أحد، وتواثبوا على بعوثهم يقتلون رجالها في نذالة وكفران، والرقاع ضد الذين تجمعوا لغزو المدينة وغير ذلك، وما في الصحيح مقدّم على غيره.. تأمّل، عِلماً بأن الغزوات النجدية إلى غطفان خمس: بنو سليم، وذو أَمَر، ونجد، وغطفان، وذو قرد، وذات الرقاع، وزاد بعضهم غزوة مُعَيْنَة. ذكرها المباركفوري في الرحيق. اهـ.

علماً أن في غزوة بني النضير والسرايا خلاف، وأنها بعد بدر في الثالثة، وكلّه وَهَمٌ، **والصحيح**: ما ذكرنا أن كل ما ذكر في الرابعة، كما صحح ذلك المباركفوري في (**الرحيق المختوم**) فليُعلم.

❊ ❊ ❊

(العبر والعظات من السرايا والغزوات للعام الخامس من الهجرة)

المسلسل	اسم الغزوة	الموقـع	التأريـخ	السبـب	الخليفة على المدينة	حامل لواء المسلمين	قوات المسلمين	قوات المشركين	مجمل النتائج
١٦	دومة الجندل	موضع بمشارف الشام ٣١٢م – ١٣مر	ربيع أول – يوليو ٥هـ ٦٢٦م	بلغ النبي ﷺ أن قبائل دومة الجندل يقطعون الطريق وينهبون المارة	سباع بن عرفطة الغفاري	ـــــــــــــ	ألف مقاتل	قبائل دومة الجندل ومن حولها	لم يلقَ كيداً وفرت القبائل، وغنم المسلمون مواشي كثيرة
١٧	الأحزاب – الخندق	المدينة بين سلع وأحد	شوال – فبراير – ٥هـ ٦٢٧م	تحزب قريش وقبائل نجد بتحريض من زعماء اليهود من أجل استئصال المسلمين من المدينة	ابن أم مكتوم	علي بن أبي طالب	ثلاثة آلاف مقاتل	عشرة آلاف مقاتل	نصر الله المسلمين وهزم الكفار المتحزبين، ورجعوا مخذولين خائبين وتأييد الله للمسلمين معترفين
١٨	بنو قريظة	المدينة بواد مهزور ٢–٣م	شوال – إبريل ٥هـ ٦٢٧م	نقض العهد بينهم وبين النبي ﷺ بمولاتهم للأحزاب	ابن أم مكتوم	علي بن أبي طالب	ثلاثة آلاف مقاتل فيهم ثلاثون فارساً	بنو قريظة وفيهم سبعمائة مقاتل	النصر للمسلمين حيث قتلوا المقاتلة من اليهود ٦٠٠، وسبوا الذرية ٧٠٠، وغنموا الديار والأموال

عاد رسول الله ﷺ من غزوة بدر الموعد، وقد ساد المنطقة الهدوء والطمأنينة، وقد حادت قريش عن مهاجمة المسلمين واستكان المنافقون ومن بقي من اليهود وتوقف البدو والأعراب، فوجد المسلمون فرصة لنشر الإسلام وإظهاره في المنطقة دون معارضة، لكن بعد ستة أشهر جاءت الأخبار أن قبائل دومة الجندل قريباً من الشام تقطع الطريق وتنهب المارة، وتحشد لمهاجمة المدينة، فخرج رسول الله ﷺ في ألف من المسلمين يسير بالليل ويكمن في النهار، فلما دنا منهم فروا فهجم على ماشيتهم ورعاتهم، فأصاب من أصاب، وفر من فر، ودخل دومة الجندل، ولم يجد أحداً فأقام بها أياماً، وبث السرايا وفرق الجيوش فلم يُصب منهم أحداً، ووادع عيينة بن حصن، ورجع المدينة بعد استتباب الأمن في المنطقة، وهدأت الجزيرة وعاد الأمن والسلام، إلا أن اليهود الذين قد ذاقوا ألوان الذلة والهوان ظلّت تنتظر ما يحل بالمسلمين؛ نتيجة المناوشات القائمة بين المسلمين والوثنيين.

ولما تحولت الأيّام لصالح المسلمين وبسط نفوذهم وتوطيد سلطانهم، تحرق اليهود أي تحرق، وخرج عشرون رجلاً من زعماء اليهود وسادات بني النضير إلى قريش بمكة وإلى قبائل العرب، واتفقوا على القضاء على المسلمين، فرجعوا بعشرة آلاف مقاتل نحو المدينة، فأشار سلمان الفارسي على النبي بحفر الخندق من الجهة المكشوفة، وكان طوله خمسة آلاف ذراع، وعرضه تسعة أذرع، وعمقه من ستة إلى عشرة أذرع، وحفر كل عشرة رجال أربعين ذراعاً، ودام الحصار أربعة وعشرون يوماً، وغدر في أثنائها بنو قريظة برسول الله ﷺ وانضمّوا إلى الأحزاب، لكن الله أعان

المسلمين، وكان عددهم ثلاثة آلاف، فصمدوا وصدّوا من حاول اقتحام الخندق، وأرسل الله الريح العاتية أقَضَّت مضاجعهم، وهدى الله نعيم بن مسعود فأسلم ومشى بين الأحزاب، فخذلهم فعادوا خائبين، قال عندها ﷺ: «**الآن نغزوهم ولا يغزونا**».

وأمر الله نبيه ﷺ بالخروج إلى بني قريظة؛ لخيانتهم وتحالفهم مع الأحزاب فوراً بعد الغزوة، فاتجه إليهم بثلاثة آلاف مقاتل، وكان أول غزو من المسلمين للكافرين، فحقق الله بذلك كلمة الرسول ﷺ من أوّل ساعة بعد المعركة، فحاصرهم إحدى وعشرين يوماً، نزلوا بعدها على حكم سعد بن معاذ الذي حكم بقتل المقاتلة وسبي الذرية وكانوا سبعمائة، أسلم بعضهم فنجوا وأحرزوا أموالهم، وهكذا تم استئصالهم.

ثم استأصل أفاعي الغدر والخيانة الذين كانوا قد نقضوا الميثاق المؤكد، وعاونوا الأحزاب على إبادة المسلمين في أحرج ساعة كانوا يمرّون بها، وقُتِل مع هؤلاء شيطان بني النضير: حُيَيْ بن أخطب والد صفية أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ، وبعث ﷺ خمسة رجال من الخزرج، قائدهم عبد الله بن عتيك؛ لقتل سلام بن أبي الحقيق، وقتله عبد الله بن عتيك، ورجعت المفرزة سالمة ظافرة، وكان ذلك في ذي الحجة ٥ هـ، وقد أنزل الله -تبارك وتعالى- تسع عشرة آية في الأحزاب وقريظة تُنْبِئ عن حالة شدة تكاد تزيغ منها القلوب وتذهل منها العقول بلَ زاغت وذهلت، كما حكى الله عنها ذلك معقبة بنعمة ورجاء وغبطة عالية لا توزن بطول ولا حول، بل تفضل من ذي الجلال والإكرام، العزيز الغالب ذي القوة والإنعام.

ومنها يُفهم: أن معركة الأحزاب ليس معركة خسائر من قتل وأسر ونهب واستيلاء، وإنّما هي معركة أعصاب وقلوب ونفوس، وابتلاء ميدانها قوة إيمان، ورسوخ عقول، وثبات جأش ونفوس، وكانت من أحسم المعارك في تاريخ الإسلام، حيث تمخضت للعالم بأن أيَّ قوة من قوات العدو مهما عظمت وكبرت لا تستطيع استئصال القوة الصغيرة التي تنمو في المدينة، وأن وراء هذه القوة قوة الله التي لا تغالب، وكان يدرك هذا كل من القوتين المسلمة والكافرة في العالم كله، فهذه كلمة سيد المرسلين وخاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام التي أطلقها بعد معركة الأحزاب: «**الآن نغزوهم ولا يغزونا**»، وهذه كلمة عدو الله شيطان اليهود، حين قُدّم للقتل يُخاطب رسول الله والعالم بقوله: [والله ما لمت نفسي في معاداتك، ولكن من يغالب الله يغلب].

أيها الناس: لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، وجلس وضرب عُنقه، وهذا ما نصّت عليه الآيات وبينت أهم جزئيات هذه الوقعة، وهي حال المؤمنين والمنافقين وتخذيل الأحزاب، ونتائج الغدر من أهل الكتاب، ليكون ذلك عظة واعتباراً لأولي الألباب، وبثلاث غزوات وسرية انتهى عام خمسة من هجرة خير البرية، محفوفاً بالنّصر للمسلمين ومكلّلاً بالخير العميم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

(العبروالعظات من السراياوالغزوات للعام السادس من الهجرة)

المسلسل	اسم الغزوة	الموقـع	التاريـخ	السبـــب	الخليفة على المدينة	حامل لواء المسلمين	قوات المسلمين	قوات المشركين	مجمل النتائج
١٩	بنو لحيان- عسفان	واد بين مكة والمدينة ١٦٨كم – ٧كم	جمادى الأولى – يوليو ٦ هـ ٦٢٧م	الاقتصاص لأصحاب الرجيع	ابن أم مكتوم	ـــــــــــ	مائتا مقاتل فيهم ٢٠ فارساً	بنو لحيان	لم يلقَ كيداً وفرَّ المشركون إلى رؤوس الجبال
٢٠	بنو المصطلق (المريسيع)	ماء بقديد بين مكة والمدينة ٩٦كم – ٤كم	شعبان – ديسمبر ٦ هـ ٦٢٧م	علم الرسول ﷺ أن الحارث رئيس بني المصطلق يسعى في قومه لغزو المدينة	زيد بن حارثة أو أبو ذر الغفاري	أبو بكر الصديق وسعد بن عبادة	لم يثبت عدد معين وفيهم ثلاثون فارساً	بنو المصطلق فوق السبعمائة مقاتل	الغزيمة للكافرين والنصر للمسلمين، حيث غنموا الأموال وسبوا الذرية والنساء، ومنهم أم المؤمنين جويرية، وقتل من الكافرين عشرة وفرّ الباقون
٢١	الحديبية	بئر قرب مكة ٢١٦كم – ٩كم	ذوالقعدة – فبراير ٦ هـ ٦٢٨م	رؤيا الرسول ﷺ أنه يدخل الكعبة مع أصحابه المؤمنين آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين فخرجوا معتمرين	ابن أم مكتوم أو نميلة الليثي	ـــــــــــ	ألف وأربعمائة مقاتل	قريش ومعهم مائتا فرس	الفتح المبين للمسلمين لإتمام الصلح بين المسلمين والمشركين عشر سنين، وانسحب المشركون من ميدان الحرب إلى ميدان السلم مستسلمين

بنو لحيان هم الذين كادوا لأصحاب الرجيع وقتلوهم، فخرج الرسول ﷺ إليهم في مائتي راكب مقاتل، ليقتص منهم لأصحابه موريا بأنه يريد الشام وأسرع السير حتى انتهى مصرع أصحابه فترحم ودعا لهم، وسمعَتْ به بنو لحيان ففروا إلى رؤوس الجبال ولم يقدر منهم على أحد. انتهى التعريف.

وأما المريسيع: لما تأكد النبي ﷺ بأن بني المصطلق يحشدون لغزو المدينة، فندب الصحابة للخروج مطلقاً دون تعيين ،وأسرع في الخروج ليباغتهم، وخرج في الغزوة جماعة من المنافقين، ولقي رسول الله ﷺ في الطريق عين العدو فقتله، فلما بلغهم مقتله هلعوا وفر مناصروهم، وسار رسول الله ﷺ حتى بلغ المريسيع، فلقي العدو وتصافا وحمل المسلمين على المشركين حملة واحدة، فما أفلت منهم أحد، بل قتل عشرة منهم وأسر الباقون رجالاً ونساء، واستولوا على أموالهم غنيمة. وروى البخاري في صحيحه: «**أنه أغار عليهم على حين غفلتهم**» (١).

وأما الحديبية: خرج رسول الله ﷺ لأداء العمرة ومعه ألف وأربعمائة من أصحابه، حتى إذا كانوا على بعد اثنين وعشرين كيلو متراً ـ أي سبعة عشر ميلاً ـ عن مكة في مكان يسمى:(**الحديبية**) منعتهم قريش، فبايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، ثم تم الاتفاق مع قريش على شروط كانت في ظاهرها قاسية على المسلمين؛ لكنها أصبحت وبالاً على قريش بعد مدة وجيزة، فجاؤوا يرجون إلغائها. انتهى التعريف بالحديبية.

* * *

(١) في العتق رقم ١٤٥٢ ومسلم في الجهاد رقم ٠٣٧١. .

وأما السرايا فكانت أربع عشرة سرية:

ففي محرم: **سرية محمد بن مسلمة** في ثلاثين راكباً إلى القرطاء من أرض نجد، فلما أغار عليهم هرب سائرهم، وغنم المسلمون نعماً وشاءً، وأخذ المسلمون في هذه السرية ثمامة بن أثال. وقصته مشهورة في صحيح البخاري.

وفي ربيع الأولى: **سرية عكاشة بن محصن** إلى الغمر في أربعين، ففر المشركون، وغنموا مائتي بعير. وفي ربيع الأولى أيضاً: **بعث محمد بن مسلمة** إلى ذي الفضة في عشرة رجال، فقتل منهم تسعة، ورجع محمد بن مسلمة جريحاً.

وفي ربيع الآخرة: **سرية أبي عبيدة بن الجراح** إلى ذي القصة في أربعين رجلاً في أثر مقتل أصحاب سرية محمد بن مسلمة، وأغاروا عليهم فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصاب المسلمون نعماً وشاءً وأسروا رجلاً منهم فأسلم.

وفي ربيع الآخرة: **سرية زيد بن حارثة** إلى الجموم، فأصاب امرأة يقال لها حليمة، فدلتهم على محله من بني سليم، فأسروا منهم رجالاً ونساءً، وغنموا نعماً وشاءً، ووهب الرسول ﷺ حليمة المزنية وزوجها لنفسها.

وفي جمادى الأولى: **سرية زيد بن حارثة** أيضاً إلى العيص في سبعين ومائة راكب، وفيها أخذت عير قريش وأموالها، وكان قائدها ختن رسول الله ﷺ أبو العاص ، وأفلت على السرية واستشفع بزينب فأجارته، ورد الرسول إليه القافلة بما عليها ورجع الأمانات، وأسلم ورجع إلى النبي ﷺ ، فرد النبي إليه زينب.

وفي جمادى الآخرة: **سرية زيد** أيضاً إلى الطرف أو الطرق في خمسة عشر رجلاً إلى بني ثعلبة، فهرب الأعراب، وأصاب عشرين بعيراً، وغاب أربع ليال فقط.

وفي رجب: **سرية زيد** أيضاً إلى وادي القرى في اثني عشر رجلاً؛ لاستكشاف حركة العدو، فهجم عليهم سكان وادي القرى وهم نائمون، فقتلوا تسعة وأفلت ثلاثة منهم زيد بن حارثة.

سرية الخبط في ثلاثمائة راكب، أميرهم أبو عبيدة بن الجراح يرصد عير قريش، وفيها قصة الحوت العنبر الذي لفظه البحر.

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى ديار بني كلب مع جماعة من أصحابه لا يعرف عددهم، وأمره بدعوتهم أولاً، وأسلموا وتزوج بنت رئيسهم بأمر النبي ﷺ.

سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شعبان إلى فدك في مائتي رجل، فأصابوا عين العدو ودلهم على موضع تجمعهم وأغار عليهم، وغنم خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربوا بالظعن إلى رؤوس الجبال.

سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى القرى في جملة من الصحابة فيهم زيد بن الحارثة وسلمة بن الأكوع، وأغار عليهم سيدنا أبو بكر ومن معه بعد صلاة الصبح، وقتل من قتل وأسروا وسبوا الذراري والنساء، وفيهم أم قرفة المشهورة.

سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين، وقصة العرنيين مشهورة في صحيح البخاري.

سرية عمرو بن أمية الضمري ؛لاغتيال أبي سفيان بن حرب، ولم يظفر به وكانت في شوال.

انتهى التعريف بالسرايا والغزوات.

والآن إلى بيان ما فيها من العبر والعظات فأقول:

ولما رد الله الذين كفروا بغيظهم ولم ينالوا خيراً في غزوة الأحـزاب، وقذف الله الرعب في الذين ظاهروهم من أهل الكتاب، واستأصلهم المسلمون قتلاً وأسراً، واستولوا على عقارهم ومنقولهم والـدواب، سار الهدوء في المنطقة والأمن والاستقرار والسلام، وتسنى للمجاهدين السعي بجدية عالية؛ لتطهير المنطقة من الوثنية ونشر الإسلام، حتى بلغت السرايا أقصى المشرق من الجزيرة العربية ومشارف الشام، وبلغت أربع عشرة سرية في العام، وقام ﷺ ثلاث غزوات؛ لتطهير البيت الحرام من الوثنية وأرجاسها والأصنام، وكللت جميعها بالفتح والرضوان من الله على المسلمين، والتبشير بالمغانم الكثيرة والانتصار على المشركين، وظهور دين الإسلام على كل دين.

لكن إذا تأملت الغزوات تلمس منها أن المشركين واليهود قد غيروا وجهة الحرب الميدانية إلى حرب دعائية وأشار إلى ذلك القرآن، فنزلت في غزوة المريسيع سورة المنافقين، وفي غزوة الحديبية سورة الفتح، وفيهما بين الله ما أحرزه المسلمون من العبر والعظات في الغزوات من الفتح والنصر والعزة والرضوان والتبشير بالمغانم، واتساع رقعة الإسلام، والسيادة للأنام ودخولهم في دين الله أفواجا، ومعظم ذلك في ميدان النفوس لا الميدان المحسوس؛ تأهيلاً للقيام بالدور المستقبل الذي ينتظر المسلمين.

فغزوة المريسيع لم تكن طويلة الذيل عريضة الأطراف من الوجهة العسكرية، إلا أنها وقعت فيها وقائع تسمى: بالحرب الدعائية، وتلك الوقائع من المنافقين الذين تمكنوا من الخروج

مع المسلمين في هذه الغزوة، وأحدثت البلبلة والاضطراب في المجتمع الإسلامي ما يقارب شهراً؛ لأن أعداء الله عرفوا وتأكدوا جيداً أن سبب غلبة المسلمين ليس بالتفوق المادي والعدة والعدد، وإنما السبب هي القيم والأخلاق والمثل الذي يتمتع بها المجتمع الإسلامي، وكل من يمت إلى هذا الدين بصلة. وكانوا يعرفون أن منبع هذا الفيض إنما هو رسول الله ﷺ الذي هو المثل الأعلى إلى حد الإعجاز في ذلك، وقد عرفوا أيضاً بالتجربة طوال خمس سنين أن القضاء على هذا الدين وأهله لا يمكن بطريقة استخدام السلاح، فقرروا أن يكثفوا الحرب الدعائية ضد هذا الدين من ناحية الأخلاق والتقاليد، وأن يجعلوا شخصية الرسول ﷺ أول هدف لهذه الحرب الدعائية، وأن تنفيذها واجب على المنافقين، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي سلول؛ لكونهم سكان المدينة ومتصلين بالمسلمين.

وهذه الخطة ظهرت جليًّا من بعد غزوة الأحزاب بدءًا بتزوج النبي ﷺ بزينب، وما قاموا به في هذه الغزوة من خطط لئيمة خسيسة كتوسيع الفتنة بين المؤمنين في قصة جهجاه الغفاري وسنان الجهني، وكاستعمال طريقة التجويع وحديث الإفك مما يحدث البلبلة والاضطراب في المجتمع المسلم، وهكذا وبعد شهر انقشعت سحابة البلبلة والاضطراب عن المجتمع الإسلامي، ونزلت سورة المنافقين توضح للمسلمين تلك الوقائع الخسيسة التي حدثت من المنافقين وكذبهم، وتوضح وتبين عداوتهم للمسلمين، وأنهم أشد عداوة من الكفار، وافتضح رئيسهم عبد الله بن أبي افتضاحاً لم يستطع أن يرفع رأسه بعد ذلك، وكان إذا

ما أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعنفونه، فقال رسول ﷺ لعمر بن الخطاب «**كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته**». قال عمر: **قد والله علمت لأمر رسول الله أعظم بركة من أمري**. ورد الله فيها على المنافقين: «**إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين**»، وثبتهم لمواجهة تلك الخطط الخبيثة، وأنزل من التشريعات ما يعطي للمجتمع المسلم السمة الخاصة من التكميل والكرامة وطهارة النفوس.

وأخـيراً: حثهم على الاتفاق وبين أن أحمق الحمق وأخسر الخاسرين الذي يترك كل شيء وراء ظهره لغيره، ويتمنى أن لو كان أمهل ليتصدق وليكونن من الصالحين.

وأما الحديبية وصلحها: فنزلت فيها سورة الفتح، وافتتحت بذلك الفيض الرباني على رسوله وعلى المؤمنين، بل كلها فيض ورضوان من الله؛ إنها الفتح المبين والهداية الثابتة والنصر العزيز والرضوان من الله والسكينة والوقار والبشارة بالمغانم الكثيرة والفتوحات المتتالية وتحقق بها للمسلمين فوائد معنوية وسياسية ومادية وحربية ودينية، إنه فتح رباني لم يسبق له مثيل وإحاطة ورعاية من رب العالمين، ونصر موصول بسنة الله التي لم تبدل وسبب للفتوحات المتلاحقة بعده، بل إنه ليصح أن تعد من الأحداث العظمى الحاسمة في تاريخ الإسلام وقوته وتوطده وبالأحرى من أعظمها، بل ذلك آية من عند الله للمؤمنين لا يستطاع حصر فوائدها حالاً ولا مآلاً، فهذه قريش اعترفت بكيان المسلمين وقوتهم وحاولت تصالحهم وتدافعهم بالتي هي أحسن،

وانتهت غطرستها التي تريد أن تستأصل بها المسلمين، وتصدهم عن البيت، وعظم شأن المسلمين في كافة جزيرة العرب، وبادر المتخلفون من الأعراب بالاعتذار، وخفت صوت المنافقين في المدينة، ووفد العرب إلى النبي ﷺ من أنحاء الجزيرة وحصد شوكة اليهود، واستطاع بعد سنتين أن يغزو المشركين بمكة المكرمة، وطهرها بذلك الفتح المبين من الوثنيين، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ولا نستطيع حصر ما أحاط الله به المؤمنين في الحديبية من الرعاية الكاملة، والسكينة الشاملة، والمعية المتواصلة، والرضوان التي جعلها الله آية للمؤمنين متجددة على مر السنين، ونكتفي منها بما ذكرنا من العناوين لتكون عبرة وعظة للمتدبرين، آملين من المولى ـ جل شأنه وعظم كرمه واتسعت رحمته ـ أن يمنحنا رضوانه والسعادة في الدارين.

وبالثلاث الغزوات وأربع عشرة سرية انتهى عام ستة من هجرة خير البرية، مكللاً بالفتح والرضا والتكريم، والوعد بالمغفرة والأجر العظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

(العبر والعظات من السرايا والغزوات للعام السابع من الهجرة)

إن الحديبية كانت بداية طور جديد في حياة الإسلام والمسلمين، فقد كانت قريش أقوى قوة وأعندها وألدها في عداء المسلمين، وبانسحابها من ميدان الحرب إلى رحاب الأمن والسلام انكسر أقوى جناح من أجنحة الأحزاب الثلاثة (قريش- غطفان - اليهود) وهدأت غطفان، ودخلت أفاعي اليهود في جحرها خيبر، وكان شياطينهم تبيض هناك، وتفرخ وتؤجج نار الفتنة، وتغري الأعراب الضاربة حول المدينة، لكن الهدنة بين قريش والمسلمين أعطت فرصة كبيرة؛ لنشر دعوة الإسلام وإبلاغه إلى العالم، وكانت تقتضي **أن البلاغ يسير في اتجاهين:**

الأول: البيان والإيضاح، **والثاني**: الجهاد بالوُجَه العسكرية، ومن حيث إن البيان والإبلاغ هو الأصل والمقدم طبعاً، بل هو الهدف الذي عانى له المسلمون ما عانوه من القلاقل والفتن والكفاح بالجهاد المسلح؛ لذلك في العبر والعظات سنبدأ في ٧هـ بالبلاغ والدعوة التي تتمثل في مكاتبات رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء في العالم، وسنتبعها بالجهاد العسكري إن شاء الله تعالى.

❊ ❊ ❊

(المكاتبات والرسل)

قال المباركفوري نقلاً عن منصورفوري: إن النبي ﷺ أرسل هؤلاء الرسل بالكتب سنة سبع من الهجرة، قبل الخروج إلى خيبر بأيام، وفيما يلي توضيح ذلك، ولقد اختار النبي ﷺ لكتبه رسلاً لهم معرفة وخبرة.

المسلسل	المكتوب إليه والإقليم	حامل الكتاب	ملاحظات
١	النجاشي ملك الحبشة (أصحمة بن الأبجر)	عمرو بن أمية الضمري	أسلم، وبعد وفاته كتب ﷺ إلى ولده، وذالك في محرم ٧هـ.
٢	المقوقس ملك مصر (جريج بن متى)	حاطب بن أبي بلتعة	احترم كتاب النبي ﷺ، ورد رداً سليماً وأكرم حامل الكتاب، وأهدى إلى النبي ﷺ جاريتين وبغلة.
٣	كسرى ملك فارس	عبد الله بن حذافة السهمي	لما قرأ الكتاب مزقه تكبراً، فدعا عليه رسول الله ﷺ.(١)
٤	قيصر ملك الروم (هرقل)	دحية بن خليفة الكلبي	فدفعه إلى عظيم بصري، وعندما بلغه احترم الكتاب واعترف بالنبي ﷺ وعظمه وكرمه، وقصته مشهورة في صحيح البخاري(٢).

(١) البخاري رقم (٢٣٩٨ – ٢٩٣٩) الجهاد.
(٢) البخاري رقم (٦) بدء الوحي.

المسلسل	المكتوب إليه والإقليم	حامل الكتاب	ملاحظـــــــات
٥	المنذر حاكم البحرين (المنذر بن ساوى)	العلا بن الحضرمي	رد على النبي ﷺ بأن قرأ الكتاب على قومه، ومنهم من أسلم ومنهم من لم يسلم، وبأرضه مجوس ويهود، فأمره النبي بالنصح للمسلمين وأخذ الجزية من المجوس واليهود[1].
٦	هوذة صاحب اليمامة (هوذة بن علي)	سليط بن عمرو العامري	كتب إلى النبي ﷺ يريد حظاً من العمارة، فلم يجبه النبي ﷺ وأخبرهم بمسيلمة الكذاب.
٧	حارث صاحب دمشق (حارث بن سمر الغساني)	شجاع بن وهب من بني أسد خزيمة	لم يسلم وقال: من ينزع مني ملكي تكبراً.
٨	جيفر ملك عمان (جيفر وعبد ابنا الجُلندَى)	عمرو بن العاص	أسلم هو وأخوه، وصدّقا بالنبي ﷺ وسلما الصدقات المفروضات عليهم وأرسلاها إلى رسول الله ﷺ.

(انتهت المكاتبات)

وبهذه الكتب كان النبي ﷺ قد أبلغ دعوته إلى أكثر مُلوك الأرض، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ولكن الكافر شُغِل، وعرف النبي ﷺ باسمه وصفته.

---

(١) البخاري رقم (٣١٥٦) الجزية، والبهقي في السنن الكبرى ج٩/ ٠٩١.

وأما السرايا فهي تسع:

أولها: سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح بقديد لأخذ الثأر منهم في قتل أصحاب بشير بن سويد، وباغتوهم ليلاً وقتلوا من قتلوا منهم، واستاقوا النعم، وطاردوهم فلم يظفروا بهم، وذلك في ربيع الأولى ٧هجرية.

ثم **سرية زيد بن حارثة** إلى حسمى وراء وادي القرى في خمسمائة رجل، فشن الغارة على جذام، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً واستاق أموالهم، وسبى النساء والأطفال، وشفع فيهم زيد بن رفاعة الجذامي ليد كانت له عند رسول الله ﷺ والمسلمين.

ثم **سرية عمر بن الخطاب** إلى تربة في ثلاثين رجلاً إلى هوازن، فهربوا ولم يلقَ كيداً فرجع إلى المدينة.

ثم **سرية بشير بن عبد الله الليثي** إلى بني عوال في مائة وثلاثين رجلاً، فهجموا عليهم وقتلوا من أشرف لهم واستاقوا نعماً وشاءً.(١)

ثم **سرية بشير بن سعد الأنصاري** إلى بني مرة في ثلاثين رجلاً، ولما نفد سلاحهم قُتلوا إلا بشيراً.

ثم **سرية عبد الله بن رواحة** إلى خيبر في ثلاثين راكباً، ووقع خلاف بين الذين خرجوا لقتالهم وقتلوهم جميعاً.

ثم **سرية بشير بن سعد** إلى يمن وجبار في ثلاثمائة من المسلمين، فهربوا وأصاب بشير نعماً كثيرة وأسر رجلين.

ثم **سرية أبي حَدْرَد الأسلمي** إلى الغابة مع رجلين، فاختار أبو حدرد خطة حربية حكيمة، وهزم العدو هزيمة منكرة، واستاق الكثير من الإبل والغنم.

---

(١) وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد مِردَاس بن نَهِيك بعد أن قال (لا إله إلا الله)، وعاتبه النبي ﷺ اهـ.

ثم **سرية ابن أبي العوجاء** في خمسين رجلاً إلى بني سليم؛ ليدعوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا فتقاتلوا معهم قتالاً شديداً جرح فيه أبو العوجاء، وأسر رجلان من العدو.

❊ ❊ ❊

مجمل النتائج	النصر للمسلمين حيث أدركوا العدو وقتلوا قائدهم واستنقذوا المواشي وسلبوهم بعض معداتهم	النصر والفتح للمسلمين والغنيمة المعجلة لهم من رب العالمين والهزيمة لليهود والمشركين	النصر للمسلمين حيث فرَّ المشركون بعدما تقابل كل من المعسكرين
قوات المشركين	فرسان من غطفان قائدهم عبد الرحمن الفزاري	عشرة آلاف مقاتل معظمهم يهود	أعراب نجد
قوات المسلمين	خمسمائة مقاتل ٥٠٠	ألف وأربعمائة مقاتل	سبعمائة مقاتل ٧٠٠
حامل لواء المسلمين	المقداد بن عمرو	الحباب بن المنذر وعلي بن أبي طالب	بشير بن سعد الخزرجي
الخليفة على المدينة	ابن أم مكتوم و سعد بن عبادة	سباع بن عرفطة الغفاري	أبو ذر الغفاري
السبـــــــب	استنقاذ ظهر المسلمين من عصابة عبد الرحمن الفزاري حين أغاروا على الرعاة حول المدينة وأخذوا الإبل	التخلص منها لكونها مركز الدسائس على المسلمين وقيام سراتها بتأليب قريش وقبائل نجد يوم الأحزاب على المدينة المنورة	اجتماع أعراب نجد وغطفان وأنمار لغزو المدينة
التأريـــخ	محرم - مارس ٧هـ ٦٢٨م	محرم - مارس ٧هـ ٦٢٨م	ربيع الأولى – إبريل ٧هـ ٦٢٨م
الموقـــع	عين ماء بغطفان	منطقة زراعية شمال المدينة	قرية نخل بنجد المدينة
اسم الغزوة	ذو قرد	خيبر	ذات الرقاع
المسلسل	٢٢	٢٣	٢٤

وأما الغزوات هي ثلاث:

فأولها ذو قرد، وهي حركة مطاردة ضد فصيلة من بني فزارة غطفان قائدهم عبد الرحمن الفزاري، قامت بقرصنة على لقاح النبي ﷺ وقتلت الراعي واستاقت المواشي، وأدركهم بطل هذه الغزوة سلمة بن الأكوع، فطلع جبلاً، واستصرخ المدينة المنورة ومشى في آثار القوم، واستنقذ لقاح المدينة من المشركين، وسلبهم ثلاثين بردًا و ثلاثين رمحًا، ثم وصلت فوارس رسول الله ﷺ، وتقاتل الجيشان وقتل واحد من المسلمين وقائد المشركين، وفرَّ المشركون مهزومين، وحينها قال رسول الله ﷺ لبطل الغزوة: «**يا بن الأكوع، ملكت فأسجح**».

وأما خيبر أضحت مركزاً للتآمر على المسلمين، فكان لزاماً غزوها لتأمين الجبهة الشمالية من المدينة بعد تأمين جبهة قريش، فحاصرهم رسول الله ﷺ وحاصر حصونها بألف وأربعمائة من أصحابه كل حصن تلو الآخر حتى افتتحها، وكان المقاتلون فيها أكثر من عشرة ألاف مقاتل مفرقين في الحصون، وأخذها عنوة بعد أن قتل منهم ثلاثة وتسعين مقاتلاً واستسلموا جميعاً كأسراء غير الذراري، فمنَّ الرسول ﷺ عليهم فأبقاهم فيها عمالا على نصف تمرها وللمسلمين النصف الآخر، وتزوج رسول الله ﷺ ابنة ملكهم صفية بنت حُيي، فكانت من أمهات المؤمنين، وبقي اليهود فيها إلى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأجلاهم لتكرر خيانتهم.

وأما ذات الرقاع: تأكد لدى النبي ﷺ أن ثعلبة ومحارب من غطفان يحشدون لغزو المدينة، فأسرع بالخروج في سبعمائة مقاتل

حتى بلغ نخلاً، فلقي جمعاً من غطفان وتقابل الجيشان ولم يقع بينهما قتال، إلا أنه ﷺ صلى بهم فيها صلاة الخوف، وقذف الله الرعب في جيش العدو فلم يرفع بعدها رأساً، ثم إن رسول الله ﷺ رجع إلى المدينة منصورًا مؤزرًا.

وبالتسع السرايا والثلاث الغزوات يكون النبي ﷺ قد قضى على الأحزاب الثلاثة المتآمرة على استئصال المسلمين، وتحقق وعد الله بنصره والفتح المبين؛ إذ أصبح المسلمون على الجزيرة العربية مسيطرين، ويدعون بقية العالم للاستسلام لهذا الدين، ومن حزب صغير إلى دولة عظمى بفضل رب العالمين.

❊ ❊ ❊

(من حزب صغير إلى دولة عظمى)

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾[1].

الله أكبر آية الله وعظمته تتحقق، من حزب صغير يريد الوثنيون واليهود من حوله استئصاله في عقر داره، فإذا هو دولة عظمى تدعو ملوك العالم وأمراءه، فيستجيبون لدعوته ويذعنون لتوجيهاته، وتذل أمام كلمته كل رعاة العالم، ويظهر دين الله على الدين كله ولوكره المشركون.

فهذا الفتح القريب يتحقق لرسول الله ﷺ حيث أمن الجزيرة العربية وسيطر عليها بثلاث غزوات وتسع سرايا، وتصبح دولة الإسلام مسيطرة سيطرة تامة على الجزيرة العربية، وأحسَّ من فيها بأن دولة الإسلام قوية مستعدة بأن تدحر بسهولة كل من تسول له نفسه أن يحدث أيَّ حدث فيها، وتستطيع أن تلبسه الذل والهوان.

فقد أضاقت القراصنة من غطفان المعتدين على سرح المدينة الويلات، وأخذت منهم كل شيء أخذوه وقتلت قائدهم وسلبتهم سلاحهم وفروا في شتات.

---

(١)سورة الفتح آية (٧٢-٨٢)..

وهذه خيبر، وما خيبر؟ المدينة الكبرى، ذات الحصون والقلاع، وذات التجارة والصناعة والزراعة والمواشي والكراع، ذات الذهب والفضة والرجال والنساء، ذات السلاح والعتاد والقوة والمتاع، مقاتلوها يزيدون على العشرة الآلاف، معظمهم من المجربين للحروب، وهي مركز التآمر والاستفزازات العسكرية، وإثارة الحروب على المسلمين، طوال ردح من الزمن يبلغ ست سنين، تصبح بما عليها وفيها من رجال ونساء وجنود وعقار ومنقول غنيمة معجلة للمسلمين، فتحها رسول الله ﷺ بألف وأربعمائة من المجاهدين، وقسم أرض خيبر ومنقولها من الأسهم على ست وثلاثين؛ لأنها طعمة من الله لأهل الحديبية من شهد منهم وغاب مع خيلهم المائتين، وأراد رسول الله أن يجليهم فاستأمنوه أن يبقوا كمزارعين على النصف بعملهم، وله إجلاؤهم متى شاء وفي أي حين.

ولما رجع من خيبر، تفرغ لإخماد نار البدو الرحل، وقام بنفسه ﷺ بغزوة ذات الرقاع، وتوغل فيها إلى أعماق تلك البقاع ، كرافد للسرايا التسع التي عم بها من الجزيرة الأرجاء، فاستقر الأمن والسلام للمسلمين، وخرجوا لأداء عمرة القضاء، التي هي الفتح المبين، وأبرك الغزوات بيقين، والتصديق من الله لرؤيا سيد المرسلين، فخرج رسول الله ﷺ في ألفين من أصحابه سوى النساء والصبيان معتمرين قضاء لعمرة الحديبية، واستعد رسول الله ﷺ بالسلاح خشية أن يقع من قريش الغدر، فلما بلغ يأجج وضع على عداة الحرب أوس بن خولى الأنصاري في مائتي رجل، ودخل مكة بسلاح الراكب والسيوف في القرب، ولما قضى العمرة هو

ومرافقوه بعث ناساً منهم إلى يأجج ليقيموا على السلاح ويأتي الآخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا.

وهكذا يدخل رسول الله ﷺ مكة المكرمة بجنوده آمنين، محلقين رؤوسهم ومقصرين، لا يخافون ملبين ومهللين ومكبرين، وخرجت رؤوس الكفار من مكة لئلا ينظروا إلى رسول الله وأصحابه غيظاً وحنقاً وخائفين، وأما بقية أهل مكة من الرجال والنساء والولدان فجلسوا في الطرق وعلى البيوت ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه بين يديه يلبون، والهدي قد بعثه إلى ذي طوى، وهو راكب ناقته القصواء، وعبد الله بن رواحة الأنصاري آخذ بزمام الناقة يقودها ويحدوا:

خلو بني الكفار عن سبيله خلو فكل الخير في رسوله

فيا لها من روعة، ويا له من نصر، ويا له من فتح مبين، وأقام في مكة ثلاثاً كعادته في الظهور على المحاربين، كيف لا يكون ذلك وهم الذين وصفهم الله في كتابه في الأولين والآخرين، وشملهم بفضله ورضوانه بشهادته على مدى السنين بقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾[1].

* * *

(١) سورة الفتح آية (٩٢).

اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر اللهم لنا ولوالدينا معهم، يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين.

وبالثلاث الغزوات والتسع السرايا، انتهى عام سبعة من هجرة خير البرايا، بالنصر والفتح والتمكين لجنده ، وبالتصديق للرؤيا وتحقيق وعده.

* * *

(العبر والعظات من السرايا والغزوات للعام الثامن من الهجرة)

المسلسل	اسم الغزوة	الموقـع	التأريـخ	السبـب	الخليفة على المدينة	حامل لواء المسلمين	قوات المسلمين	قوات المشركين	مجمل النتائج
٢٥	فتح مكة المكرمة	مكة ٢٤٠م – ١٠مر	رمضان – يناير ٨هـ ٦٣٠م	نقض الصلح المبرم في الحديبية من قبل المشركين باعتدائهم على حلفاء المسلمين	أبو رهم الغفاري	الزبير بن العوام	عشرة آلاف مقاتل	قريش والقبائل حولها	الفتح الأكبر للمسلمين والتحرير للكعبة المشرفة من أيدي المشركين وجاء الحق وزهق الباطل وطهرت من الأصنام في ذلك الحين للطائفين والعاكفين والركع السجود
٢٦	حنين – الطائف	واد شرق مكة ٢٨٠م – ٥, ١١مر	شوال – فبراير ٨هـ ٦٣٠م	قيام هوزان ومن انضم إليهم من القبائل لغزو المسلمين	أبو رهم الغفاري	علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه –	اثنا عشر ألف مقاتل	عشرون ألف مقاتل	النصر المؤزر للمسلمين، والهزيمة الفادحة للمشركين حيث سبيت نساؤهم وأطفالهم، وغنموا أموالهم وفروا هاربين ثم جاؤوا رسول الله مسلمين ومستسلمين ورد عليهم سبيهم ذلك الحين

وبعد عمرة القضاء ظهر الإسلام في المنطقة وساد فيها الأمن والسلام، واستطاع المسلمون بعد ذلك أن يسدوا بسهولة كل خلل وثلمة تحدث في أيِّ منطقة من الجزيرة، وبدأت التمهيدات لفتوح البلدان الشامية والممالك الكبيرة.

ففي صفر وربيع الأولى من ثمانية هجرية بعث ﷺ ثلاث سرايا تأديبية في الجزيرة، وهدأ بها كل فتنة وجريرة وهي:

سرية غالب بن عبد الله في مائتي مقاتل إلى بني مرة بناحية فدك.

وسرية كعب بن عمر الأنصاري في خمسة عشر رجلاً إلى قضاعة.

وسرية شجاع بن وهب الأسدي إلى هوازن.

وبعد ذلك شرع في السرايا التمهيدية لتوسيع رقعة الإسلام والمقدمات لفتوحات بلدان النصارى والمجوس بأرض الشام **وأولها:**

سرية مؤتة: وهي قرية بأدنى بلقاء الشام بينها وبين بيت المقدس مرحلتان، وقد سبق ذكرها استطراداً في (**حكم الجهاد في الإسلام**) حيث قاتل ثلاثة آلاف من المسلمين مائتي ألف مقاتل من الكافرين، واستطاع ذلك الجيش الصغير، أن يدحر ذلك الجيش الكبير، ويكفه عن السير إلى المسلمين، وتخلص منه فاتحاً مكيناً، حتى إنه ألقى العالم من العرب والعجم في الدهشة والحيرة، فقد كانت الروم أكبر وأعظم قوة على وجه الأرض، وكانت العالم تظن أن جلادها هو القضاء على النفس، وطلب الحتف بالظلف، فكان لقاء هذا الجيش الصغير، مع ذلك الجيش الكبير العرمرم، وصده وتكبيده الخسارة الفادحة في الرجال ورجوعه من الغزو دون أن تلحق بالمسلمين خسارة تذكر، كان يعد ذلك من عجائب

الدهر، ويؤكد أن المسلمين طراز آخر، غير ما ألفه العالم وعرفه، وأنهم مؤيدون ومنصورون من عند الله، وأن صاحبهم رسول الله حقًّا، وكانت هذه المعركة بداية اللقاء الدامي مع الرومان وكانت توطئة وتمهيداً لفتح البلدان الرومية، واحتلال المسلمين الأراضي البعيدة النائية.

ولما كانت العرب الساكنة بأدنى الشام وفي الحدود المتاخمة للشام يكثّرون سواد الروم ويستعين بهم على المسلمين، كان من الواجب أن يفرق بينهم وبين العدو بأيِّ وسيلة كانت، فبعث الرسول ﷺ في أثر سرية مؤتة وما قاساه فيها الجيش الإسلامي ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، وأمَّر عليهم عمرو بن العاص لكون أمه منهم، ولما بلغ مشارف الشام وبلغه أن لهم جمعاً كثيرًا أرسل إلى النبي ﷺ يستمده، فأمده بمائتي مقاتل وأمَّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح، وسار بهم حتى وطئ بلاد قضاعة فدوخها حتى أتى أقصى بلادهم فلقي هناك جمعاً، فحمل المسلمون عليهم فهربوا وتفرقوا في البلاد، وسميت هذه السرية بسرية ذات السلاسل، وكان بينها وبين المدينة مسيرة عشرة أيام.

فالسرية الأولى التي هي مؤتة أوقفت الروم من الزحف، وقذفت في قلوبهم الرعب من المسلمين.

والثانية التي هي ذات السلاسل هدّأت القبائل المتنصرة والمساندة للروم، وتأكدوا بعدها أن الروم غير مستطيع لحمايتهم من المسلمين، ولم يكن لهم بد إلا أن يدينوا للمسلمين.

ثم أتبعها **بسرية أبي قتادة** إلى غطفان في خمسة عشر رجلاً فقتل منهم وسبى وغنم، وهذه الست السرايا كلها تمهيدية لقتال الروم

من حيث تهدئة الجزيرة ليتفرغ لقتال الروم وليفت في عضد الروم؛ ليفتح المجال للإسلام ينشر ويظهر في العالم على العموم.

* * *

ثم إلى الغزوات المبينة في الجدول وهي غزوتان في عام ثمانية من الهجرة النبوية، **الأولى**:

فتح مكة المكرمة، وسببها: غدر قريش بحلفاء رسول الله ﷺ من قبيلة خزاعة، فباغتها ﷺ في عشرة آلاف من أصحابه بعد أن أعطى الأمان لكل من ألقى السلاح، فدخلها دون مقاومة تذكر، وطهرها من رجس الأوثان، بعد أن رزحت تحت وطأتها ردحاً من الزمان؛ ليدخل الناس في دين الله أفواجاً.

واستاء بعض القبائل المشركة من دخول المسلمين مكة، وكان عدد المسلمين اثني عشر ألفاً، وفي مقدمتها هوازن وثقيف بقيادة مالك بن عوف حيث حشدوا قواتهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم، وكمن جيش مالك للمسلمين في وادي حنين، وباغتهم في الظلام بهجوم مستميت، فتراجع المعجبون بكثرتهم وتدافعوا حتى كادت الهزيمة أن تقع لولا ثبات رسول الله ﷺ ومناداته الناس: يا أصحاب بيعة الرضوان، فاجتمع حوله قريباً من ثمانين رجلاً قلب الله بهم ميزان المعركة، وأنزل لنصرهم الملائكة، فسقطت هذه الجموع غنيمة بيَد المسلمين، ولم يقتل من المسلمين إلا أفراد قليلون، ولجأ كثير من فلول المشركين بعد معركة حنين إلى الطائف، فحاصرهم رسول الله ﷺ ولم يأذن له الله بدخولها، لكن المشركين أدركوا أنهم أصبحوا في قبضة رسول الله ﷺ، وأنهم (ثعلب جحر)، فلم يطل

بهم الزمن حتى جاؤوا مسلمين بعد أن أسلم حليفهم مالك بن عوف، وأضحى يقاتلهم حتى ضيق عليهم الخناق ودخل أهل الطائف في دين الله.

القرآن يتحدث عن الفتح:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾[1].

السورة نزلت قبل الفتح على قول الجمهور، والفتح فتح مكة قولاً واحداً لا خلاف فيه، وهذه السورة القصيرة نص رباني صغير، يحمل البشارة بنصر الله والفتح الكبير لرسول الله والمجاهدين معه لتحقيق الحق ونصرة الخير. إنه الفتح العام زماناً ومكاناً، سياسيًّا ودينيًّا، والفتح للذوات والضمير، الفتح الذي دخل به الناس في دين الله أفواجاً، الفتح الذي أشرق به الكون ضياءً وابتهاجاً، الفتح الذي اعتنق الناس به الإسلام مبدأ ومنهاجاً.

وللتعريف كيف حقق الله تلك البشارة المرتبطة بالفتح الذي سبقت إليه الإشارة، أقول:

لقد ظهر دين الله وصدق لنبيه الرؤيا بأداء الرسول ومن معه عمرة القضاء، وبدأت الدولة الإسلامية تنمو وتتسع رقعتها إلى خارج الجزيرة العربية، وأصبح الأمر يقتضي **أمرين**:

أحدهما: الحفاظ على ما أحرزه المسلمون من الفتح.

وثانيهما: الدفع بدين الله إلى العالم؛ لتسعد به البشرية كلها ويكون

(١) سورة النصر.

الدين كله لله.

وكان رسول الله ﷺ يدرك ذلك تماماً، والسرايا الست السابقة قبل الفتح الأكبر توضح ذلك، وما إن رجعت آخر سرية منها في شعبان إلا ورسول الله ﷺ يفاجأ بنقض قريش للعهد، فأحس رسول الله ﷺ أن هذا أخطر حدث في الحالة الراهنة، وأنه إذا لم يقضِ على قريش في عقر دراهم ستكون عواقب الأمر وخيمة وقاسية جدًّا على المسلمين، لذلك تحرك سريعاً وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها»، فلم يمضِ على نقض عهده إلا بضع عشرة ليلة إلا ورسول الله ﷺ مع جيشه الضخم على أنقاب أم القرى، وما لقريش قبل فيما بوغتت به إلا السلم والرضا، ودخل مكة رسول الله ﷺ واستسلم له قريش، وتحقق الفتح العظيم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله قبلة للعالمين، من أيادي الجاهلية الكفرة والمشركين، وأقام رسول الله وصحابته الكرام تسعة عشر يوماً في مكة المكرمة يقرر قواعد الإسلام، ويهدم سنن الكفر ويطهر الكعبة المشرفة من الأصنام، ويبعث السرايا للدعوة إلى الله وتحطيم الأصنام التي في حوالي المسجد الحرام:

فبعث خالداً في ثلاثين فارساً إلى العزى فهدمها وقتل شيطانها.

وبعث عمرو بن العاص إلى سواع في جماعة من الصحابة فحطموها.

وبعث سهيل بن زيد الأشهلي في عشرين فارساً إلى مناة فدمرها وقتل شيطانها.

وبعث خالد بن الوليد مرة أخرى في ثلاثمائة وخمسين رجلاً داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً إلى قبيلة جذام، وهم الذين قالوا صبأنا ولم يحسنوا كلمة أسلمنا، وتبرأ من قتلهم الرسول عليه الصلاة والسلام.

تلك غزوة الفتح الكبرى، وهي المعركة الفاصلة والفتح الأعظم الذي قضى على كيان الوثنية قضاء مبرماً في الجزيرة العربية، كما أنها أزالت الستور التي تحول بينها وبين الإسلام، وبهذا الفتح سيطر المسلمون على الموقف السياسي والديني كليهما معاً في طول الجزيرة وعرضها، وانتقلت إليهم الزعامة الدنيوية والصدارة الدينية نفلها وفرضها، فالطور الذي قد بدأ بهدنة الحديبية، قد تم وكمل بهذا الفتح المبين، وكان الظهور على كل الأديان لهذا الدين ولم يبقَ لأقوام العرب إلا أن يفدوا إلى رسول الله ويعتنقوا الإسلام ويحملوا دعوته إلى العالم، وقد تم ذلك في سنتين.

وما إن فرغ رسول الله ﷺ من ترتيب أمر مكة للمسلمين بتقرير قواعد الإسلام وأحكام الدين، فإذا عيونه تنقل إليه ذلك الإعلان، بأن قبائل هوازن وما إليها من قيس غيلان، يحشدون بأوطاس بقضها وقضيضها من مشاة وفرسان، فخرج إليهم رسول الله ﷺ من مكة في اثني عشر ألف مقاتل، فعجب بعضهم وقال: لن نغلب اليوم في هذا الميدان.

وفي أول المعركة انهزم المعجبون، وإلى ذات اليمين انحاز رسول الله والمؤمنون، ونادى مناديه: يا أصحاب الشجرة، يا أنصار الله يا مهاجرون، فاستجابوا لمنادي رسول الله وتابوا إليه، وأنزل الله سكينته عليهم وقاتلوا عن يمينه وشماله وبين يديه، وأنزل الله

نصره على المؤمنين، وأيدهم بجنود لم يروها وعذب الكافرين بالسبي والقتل والأسر في ذلك الحين، وفرَّ المتبقون إلى جهات شتى متفرقين، وطاردهم المجاهدون وأحضروهم مكبلين، وهكذا تفضل الله على المؤمنين بالنصر تلو النصر والفتح؛ تعزيزاً للفتح الأكبر، وتحدث الله عن ذلك في كتابه الكريم ذكرى وعظة وعبرة لمن اعتبر، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

❊ ❊ ❊

(١)سورة التوبة آية (٢٥-٢٧).

(العبر والعظات من السرايا والغزوات للعام التاسع من الهجرة)

المسلسل	اسم الغزوة	الموقع	التأريخ	السبب	الخليفة على المدينة	حامل لواء المسلمين	قوات المسلمين	قوات المشركين	مجمل النتائج
٢٧	تبوك العسرة	عين ماء في حدود الشام ٢٩٠م-١٢٠٠م	رجب = أكتوبر ٩ هـ ٦٣٠م	بلغ النبي ﷺ أن هرقل هيأ جيشاً قوامه أربعون ألفاً لغزو المدينة	محمد بن مسلمة الأنصاري	أبو بكر الصديق المهاجري	ثلاثون ألف مقاتل	خمسون ألف مقاتل من هرقل والقبائل المساندة	لم يلقَ كيداً وظفر بالقبائل المتنصرة المساندة للروم، وصالحهم على الأموال والسلاح، وجلس في تبوك عشرين يوماً.

إن فتح مكة كان الفيصل بين الحق والباطل، ولم يبقَ بعده محل للريبة والظن في رسالة سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ عند العرب، ولذلك انقلب المجرى تماماً في الجزيرة العربية لصالح الإسلام والمسلمين، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، كما يظهر ذلك من الوفود التي بلغت أكثر من سبعين وفداً، ومن الجنود الذين بلغوا ثلاثين ألفاً، ومن المصدقين الذين بلغوا أكثر من خمسة عشر متحصلاً إلى كافة أنحاء الجزيرة العربية، ومن العدد الذي حضر لحجة الوداع وبه انتهت المتاعب والأحداث الداخلية، وتمكن

المسلمون من بثِّ الدعوة وتعليم الشريعة الإسلامية للناس فيها بدون مشقة؛ ولذاك لم يقم رسول الله ﷺ بعد مرجعه منها بأيِّ غزوة في الجزيرة العربية، ولم يبعث فيها سوى خمس سرايا من أجل تقرير الأمن، وتهدئة المواقف التي يثيرها أهل الطيش والجهل، والحمية الذي لا تخلو منها أيُّ دولة أومجتمع، والسرايا كما يلي:

ـ **سرية عيينة بن حصن الفزاري** في خمسين فارساً إلى بني تميم؛ لتحريضهم بعض القبائل ليمتنعوا من دفع الجزية، وباغتوا بني تميم وأسروا أحد عشر رجلاً، وسبوا إحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً، ووفد على النبي عشرة من رؤسائهم وطالبوا المفاخرة والمباهاة والمناظرة، وبعدها أسلموا، وأجاز لهم رسول الله أسراهم وسباياهم.

ـ **سرية قطبة بن عامر** في عشرين رجلاً إلى حي من خثعم تَبَالة، ووقع بينهم قتال وجرح كثير، واستاق المسلمون النساء والشاء والنعم إلى المدينة.

ـ **سرية الضحاك بن سفيان الكلابي** إلى بني كلاب؛ لدعوتهم إلى الإسلام وتقاتلوا وهزمهم المسلمون وقتل منهم رجلاً.

ـ **سرية علقمة بن مجزز المدلجي** إلى سواحل جدة في ثلاثمائة إلى رجال من الحبشة اجتمعوا للقرصنة.

ـ **سرية علي بن أبي طالب** في خمسين ومائة؛ ليهدم صنماً لطيء يقال له: القلس، فهدموه وملؤوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وفرَّ رئيسهم عدي بن حاتم، ومنَّ رسول الله ﷺ على أخته من بين السبايا.

* * *

ومسك ختام جدول الغزوات..غزوة تبوك لخير البريات

آخر غزوات الرسول ﷺ، وسميت **غزوة العسرة**؛ لجدب البلاد، وطول السفر، وقلة الزاد، وشدة الحر، وقلة الركائب، حتى تعاقب على ركوب البعير ثمانية عشر رجلاً، وقد جاء أبو بكر ﷺ متبرعاً بماله كله، وعمر ﷺ بنصف ماله، وما زال عثمان ﷺ يجود حتى قال له رسول الله ﷺ :«ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم»[1] .

وقد بلغ تعداد الجيش ثلاثون ألفاً، فيهم عشرة آلاف فارس، وبقي رسول الله ﷺ في تبوك عشرين يوماً دانت خلالها القبائل، ودفع بعضهم الجزية، وتهيب الرومان اللقاء، وعاد الجيش بعد خمسين يوماً مؤيداً منصوراً، وحصل على مكاسب سياسية كثيرة وخطيرة جدًّا ما كان يحصل عليها إذا حصل لقاء دامي. وتهيب الرومان من اللقاء أكسب جيش المسلمين سمعة حسنة وعالية جدًّا داخل الجزيرة العربية وحدودها والبلدان النائية عنها من الشمال، وأيقنت كل العرب والمجاورون لها من بلاد الشام بأن جيش المسلمين مؤيد من الله بالنصر كما سبق في سرية مؤتة، وبادروا بالمصالحة مع رسول الله ودفعوا الجزية، وممن بادر منهم أهل أيلة وأهل الجرباء وأهل أذرح وأعطوا الجزية، وأقر أكيدر بالجزية وصالح رسول الله ﷺ على دومة الجندل وتبوك، وأعطى في الحال ألفي بعير وأربعمائة درع وأربعمائة رمح وثمانمائة رأس.

وتأكد لدن القبائل المجاورة للجزيرة من الرومان والقبائل المتنصِّرة أن اعتمادهم على الرومان فات أوانه، وعاد الكثير منهم إلى مناصرة المسلمين.

(١) رواه أحمـد.

وعرف الرومان بأن ثغوره التي تحادد جزيرة العرب أصبحت مهددة، فكيف يستطيع أن يغزو المدينة وأن جيش المدينة في يقظة عالية ومستعد لغزوه ومقاومته في عقر داره، بل إن رسول الله ﷺ جهز جيشاً كثيراً لغزو الرومان في عقر داره، وأمّر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة عند مرجعه من حجة الوداع ،وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والدارون من أرض فلسطين، وكانت هذه آخر البعوث والسرايا له ﷺ، وخرج الجيش إلى الشام فلما بلغ الجرف على نحو فرسخ من المدينة إلا والأخبار المقلقة عن مرض رسول الله ﷺ أكرهتهم على التريث حتى يعرفوا ما يقضي الله به، وقضى الله أن يكون هذا أول بعث ينفذه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته، وكان هذا بمثابة رسم خطة من رسول الله ﷺ لخلفائه الراشدين ومن تابعوهم بإحسان ليواصلوا الدفع بهذا الدين إلى كافة المعمورة بدءًا بالدولتين المجاورتين لدولة الإسلام، وهي فارس والروم وبلاد الشام.

واستمر الخلفاء الراشدون وتابعوهم بإحسان على تلك الخطة حتى انتشر دين الله وظهر في معظم المعمورة، وشهد ماضي الأمة الإسلامية سبقاً ثقافيًّا عظيماً، وصحوة علمية هائلة، وحضارة كانت مضرب الأمثال عبر عصور خلت، بل كانت مطمعاً للحاقدين عليها ولم يكن خفيًّا على العرب ما حققه العرب من تقدم وازدهار في بناء حضارتهم الإسلامية الزاهرة في جميع البقاع، استظلت براية عدلهم الدول السامية، والمدن الجميلة التي شيدوها، لقد عرف العالم حضارة العرب تلك الحضارة التي خلدت على مر الزمان، ولا تزال شامخة البنيان، حضارة ما فتئت تشهد على مضي عمر

حاز السبق في كل المجالات..

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

ونزلت آيات كثيرة في سورة التوبة حول موضوع غزوة تبوك، نزل بعضها قبل الخروج، وبعضها بعد الخروج وهو في أثناء السفر، وبعضها بعد الرجوع إلى المدينة، وقد اشتملت على ظروف الغزوة وفضح المنافقين، وفضل المجاهدين والمخلصين، وقبول التوبة من المؤمنين الصادقين الخارجين والمتخلفين، إلى غير ذلك من الأمور التي لا يمكن حصرها في هذه الكلمة العاجلة.

غير أني أسأل الله أن يمنحني الإخلاص في الإيمان والصدق في الجهاد وفيما كتبت التوفيق والسداد قائلاً: ربنا تقبل مني إنك أنت السميع العليم، وتب علي إنك أنت التواب الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

❊ ❊ ❊

(العبر والعظات من مجموع السرايا والغزوات)

لا شك أن سيدنا محمد بن عبد الله سيد الرسل وخاتم الأنبياء، وأعظمهم خَلقاً وخُلقاً، وإذا وقفنا على ضفة بحر السرايا والغزوات، ونظرنا إلى درر نتائجها والتشريعات، تبين لنا جليًّا أنه ﷺ كان أعظم قائد عسكري في الدنيا، وصاحب عبقرية فذة، وفي هذا المضمار لا يُجارَى، وذا قيادة لا يُوازى، ولذلك لم يفشل ﷺ في أيِّ معركة من المعارك التي خاضها، بل أثبت في كل ذلك أن له نوعاً آخر من القيادة غير ما عرفتها وتعرف الدنيا في القواد والسيادة.وقد تجلت عبقريته ﷺ في غزوتي أحد وحنين؛ حيث استطاع بحكمته الفذة أن يغير مجرى المعركة بنفسه، ومن بقي معه من أصحابه، ويخيب الأعداء من أهدافهم، ويبدل الهزيمة نصراً والضعف قوة والخور عزماً، قال علي بن أبي طالب ﷺ: [**كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحدٌ أقرب إلى العدو منه**].

كما أنه ﷺ استطاع من خلال هذه السرايا والغزوات فرض الأمن، وبسط السلام وإطفاء نار الفتنة، وكسر شوكة الأعداء، وتخلية السبيل لنشر الدعوة، واستطاع أن يتعرف على المخلصين من أصحابه، ومن يضمر نوازع الغدر والخيانة، وأنشأ منهم طائفة كبيرة من القواد الذين لاقوا بعده الفرسَ والرومان في ميادين العراق والشام، ففاقوهم في تخطيط الحروب وإدارة دفة القتال حتى استطاعوا إجلاءهم من أرضهم وديارهم وأموالهم، ﴿مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾[1].

(١)سورة الدخان آية (٥٢-٧٢).

كما أنه استطاع من خلال هذه السرايا والغزوات أن يوفر السكن والأرض والحرف والأعمال للمسلمين حتى تخلص من كثير من المشاكل للمهاجرين الذين لم يكن لهم مالٌ ولا دار، كما أنه استطاع أيضاً أن يوفر السلاح والكراع والعدة والنفقات، حصل على كل ذلك من غير أن يقوم بمثقال ذرة من الظلم والطغيان والبغي والعدوان على عباد الله.

كما أنه من خلال ذلك استطاع أن يغير أغـراض الحرب وأهدافها، فبينما كانت الحرب في الجاهلية والأديان المحرَّفة عبارة عن النهب والسلب والقتل والبغي والعدوان، وكبت الضعيف، وتخريب العمران، وهتك حرمات النساء والعبث بالصبيان، وإهلاك الحرث والنسل والفساد في الأرض، وهتك حقوق الإنسان، فأصبحت هذه الحرب في الإسلام جهاداً في سبيل الله؛ لتحقيق أهداف نبيلة وأغراض سامية وغايات محمودة، تعتز بها البشرية في كل زمان ومكان، غايتها: تخليص الإنسان من نظام القهر والعدوان، إلى نظام العدالة والنصف، يصير فيه الضعيف قويًّا حتى يأخذ الحق له، والقوي ضعيفاً حتى يأخذ الحق منه، ويخلص المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، ويطهر أرض الله من الغدر والخيانة والإثم والأوثان إلى توحيد الأمة وبسط الإيمان، وجمع الكلمة وظهور الدين وقوة الكيان، وسيادة الأمن والتراحم ومراعاة حقوق الإنسان، كما أنه شرع للحروب قواعد شريفة ألزم جنوده وقواده التقيد بها، ولم يسمح لهم بالخروج عنها بحال، فكان إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله عز وجل ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال له: «**اغزُ**

باسم الله في سبيل الله، اغزوا فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً» [1] ، وكان يقول: «**يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا**»[2]، وكان إذا جاء قوماً بليل لم يغزُ عليهم حتى يصبح، ونهى عن التحريق بالنار، وعن قتل الصبيان والنساء وضربهن، ونهى عن النهب، وأمضى السنّة أن السفير لا يقتل، وشدّد في النهي عن قتل المعاهدين، إلى غير ذلك من القواعد النبيلة التي طهّرت الحروب من أدران الجاهلية حتى جعلها جهاداً مقدساً، تلك عناوين من التشريعات والسنن، وآيات من غزوات الرسول المؤتمن لكل مجاهد يريد تخليص الأمة الإسلامية من الفتن، ويحرص على الاقتداء بالرسول المؤتمن عليه أفضل الصلاة والتسليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

❊ ❊ ❊

(١) طرف من حديث رواه مسلم عن بريدة برقم (١٣٧١) في الجهاد قال وهو طويل بيّن فيه ﷺ قوانين الحرب كافة وهذا نصه:
«وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصب حكم الله فيهم أم لا» ا.هـ المؤلف.

(٢) متفق عليه.

خاتمة
(أين أمة الإسلام؟ نسأل الله حسن الختام)

شبيبتنا الإسلامية باتت نهباً لأعدائنا، وتحولنا من أمة غازية إلى أمة مقهورة مغلوبة على أمرها، فبعد أن كنا نغزو العالم برسالة الله، نخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن الظلم إلى العدل ومن الشرك إلى التوحيد ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، إذا بنا نصبح أمة يتوطن الظلم والجهل في ربوعها، وينفلت أبناؤها من تراثهم ويلعنون من مضى في أسلافهم.

وحالنا الآن عيش في مآس وأزمات بعد أن سلب منا مسرى رسول الله ﷺ ووقع في الأسر الشيوخ والنساء والأطفال، يذبحون صباح مساء، فتشريد شعب وسحق مدن وتهديم مساجد ،وآلاف المسلمين لا يجدون مسكناً ولا خبزاً ولا ماءً ولا كساء.

وعلينا نتساءل: هل كان العرب أمة قبل نزول القرآن؟ وهل كان لهم وجود بمعنى كلمة الوجود قبل نزول القرآن؟ وجاء القرآن فإذا بهؤلاء الأجلاف الذين يوأد الواحد منهم ابنته، ويجوع فيأكل ربه المصنوع من التمر، هل كان لهم فكر أو ثقافة أو علوم أو مكانة بين الأمم قبل نزول القرآن؟

جاء القرآن فإذا العرب غير العرب، وإذا بالنفوس غير النفوس، وإذا بالعقول غير العقول، وإذا بهم يصبحون خير أمة أخرجت للناس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[1]، لولا القرآن ما كانت العرب أمة، ولولا القرآن لما أصبح العرب أساتذة الدنيا، ولولا القرآن ما كان هناك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والقعقاع وطارق وصلاح الدين، ولولا القرآن ما كان هناك دمشق وبغداد والقاهرة وأشبيلية وقرطبة والقيروان، ولولا القرآن ما كان الخليفة الإسلامي يقول للسحابة: أمطري حيث شئت فإن خراجك يجبى إليَّ، هذا ما فعله القرآن بنا أيها الإخوة، لقد أوجدنا من عدم، ونفخ فينا الروح، وأعطانا الحياة في الوجود، إنه مصدر العزة والكرامة، ومنبع الرقي والتقدم، وموئل القوة والشهامة، يجب أن نحافظ عليه، ونجعله خلقنا، نرضى لرضاه ونغضب لغضبه، أم ينطبق علينا قول الله على لسان الرسول ﷺ: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾[2].

إن المطلوب من كل مسلم في الحالة الراهنة: أن يعيش مع هذه القضايا الكبرى بوسائل الجهاد المتاحة و الممكنة، يعيش بمشاعره وماله وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وتوعية إخوانه المسلمين أمام الأخطار المحدقة بأمته، والكشف عما يعلمه ويفهمه من المؤثرات على كيان المسلمين والإسلام وثروته، وأن يكثر من الدعاء في أدبار الصلوات، وفي السحر وساعات الإجابة للمسلمين بالنصر والتمكين في الأرض، وأن يدعو إلى تقوى الله ﷻ والإنفاق في سبيل الله، فما أصبنا به من كوارث ومصاعب ودواهي إلا بذنوبنا وتقصيرنا وغفلتنا، فلا ينزل بلاء

(١)سورة آل عمران آية (١١٠).
(٢)سورة الفرقان آية (٣٠)

إلا بذنب، ولا يرفع إلا بتوبة .

وسئل ابن العربي: كيف يصنع الواحد إذا قصر الجميع؟ فقال ما معناه:[يعمد من رأى تقصير الخلق إلى مقدوره من إنقاذ أسير ولو واحدا، أو يغزو إن قدر، أو جهّز غازياً] قلت: أو يأوي مشردًّا أو يربي يتيماً أو أو أو... إلى آخر ذلك، «ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

* * *

اللهم بكتابك المبين وسنة نبيك سيد المرسلين كن لي ولجميع المسلمين متولياً في جميع الأمور، دافعاً عني وعنهم كل محذور، قامعاً عني وعنهم الطغاة والبغاة والكفرة والمفسدين، ناصراً لي ولهم على أعدائنا وأعدائك أجمعين، إنك أعز الناصرين، اللهم ردنا إلى كتابك ردًّا جميلاً، وارزقنا العمل به وتلاوته آناء الليل وبكرةً وأصيلاً، وألهمنا اتباع السنة المطهرة، واجعلنا من الكرام البررة، ولا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

وفي ليلة الرابع عشر من شهر شعبان المعظم من عام ثلاثة وعشرين وأربعمائة وألف هجرية وقف القلم من الكتابة على جدول غزوات الرسول ﷺ وليس لي فيه إلا النقل عن العلماء والحكماء، فما هو صواب فبتوفيق الله ذي الفضل والنعماء، وما هو غير ذلك فمني جاءت الأخطاء، فمن رأى خللاً سدد وعذر، ومن اعترف وبين فقد أعذر. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

كتبه راجي عفو ربه العلي
محمد بن قاسم بن إسماعيل الوشلي
بمدينة المنيرة

غزوات الرسول ﷺ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

قال الحسين بن علي ـ رضي الله تعالى عنهما ـ :{كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن}.

قال رجل للنبيﷺ أخبرني بعمل يعدل الجهاد ، قالﷺ: {لا أجده}. رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) سورة الفتح آية (٢٩).

مجمل النتائج	لم يلقَ كيداً وعقد حلفاً مع بني ضمره يمثلهم (مخشي بن عمرو الضمري)	لم يلقَ كيداً وفاته العدو	لم يلقَ كيداً وعقد حلفاً مع بني مدلج
قوات المشركين	عير قريش ومرافقوها	مائة مقاتل من قريش وألفان وخمسمائة جمل	أربعون مقاتلاً وألف بعير
قوات المسلمين	سبعون مقاتلاً من المهاجرين	مائتا مقاتل من المهاجرين	١٥٠-٢٠٠ مقاتل من المهاجرين
حامل لواء المسلمين	حمزة بن عبد المطلب	سعد بن أبي وقاص	حمزة بن عبد المطلب
الخليفة على المدينة	سعد بن عبادة	السائب بن مظعون وقيل: سعد بن معاذ. اهـ بهجة	أبو سلمة بن عبد الإله المخزومي
السبب	يريد قريشاً مترصداً لعيرها ليثأر للمسلمين	يريد عير قريش يمنعها من تجارة الشام	يريد عير قريش وتجارتها ليصد فتنتها عن المسلمين
التأريخ	صفر - أغسطس ٢هـ ٦٢٣م	ربيع الأول - ديسمبر ٢هـ ٦٢٣م	جمادى الأولى-نوفمبر ٢هـ ٦٢٣م
الموقع	موضعان يليان الجحفة ٩٦ م - ٤مر	فرعا جبل بجهينة ٤٨م- ٤مر	موضع ينبع ١٠٨م-٤مر
اسم الغزوة	الأبواء ودان	بواط رضوى	العشيرة - العشير
المسلسل	١	٢	٣

مجمل النتائج	لم يظفر بكرز ومرافقيه	النصر المبين للمسلمين والهزيمة الفادحة للمشركين كما حكى الله ذلك في كتابه المبين	فرَّ المشركون وغَنِم المسلمون خمسمائة بعير
قوات المشركين	كرز بن جابر الفهري ومرافقوه	تسعمائة إلى ألف مقاتل فرس ١٠٠ درع ٦٠٠	قبائل سليم
قوات المسلمين	سبعون مقاتلاً من المهاجرين	ثلاث مائة وثلاثة عشر مقاتلًا بعير ٧٠ درع ٦ خيل ٢	مائتا مقاتل راكبون
حامل لواء المسلمين	علي بن أبي طالب	مصعب بن عمير العبدري	علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
الخليفة على المدينة	زيد بن حارثة	بشير بن عبد المنذر	سباع بن عرفطة
السبـــــب	طلب كرز الفهري وقومه المرافقون الذين أغاروا على المدينة	يريد قريش مترصداً لعيرها ومتصدياً لنفيرها ليقمع جبروتها ويرد تهديدها للإسلام والمسلمين	علم الرسول ﷺ أن بني سليم من غطفان يحشدون لغزو المدينة
التأريـــخ	جمادى الآخرة- ديسمبر ٢هـ ٦٢٣م	رمضان ١٧- مارس ٢هـ ٦٢٤م	شوال - إبريل ٢هـ ٦٢٤م
الموقـــع	واد بناحية بدر ٩٦م - ٤مر	بئر مشهور بين مكة والمدينة ٩٦م - ٤مر	ماء من مياه بني سليم بنجد ٦٠م - ٢,٥مر
اسم الغزوة	سفوان بدر الأولى	بدر الكبرى- الفرقان	بنو سليم الكدر
المسلسل	٤	٥	٦

مجمل النتائج	تم إجلائهم من المدينة وغنم المسلمون دورهم وأموالهم وسلاحهم	فر المشركون تاركين أزوادهم وأكثرها السويق؛ خوفاً من أن يدركهم المسلمون	لم يلقَ كيداً وفر المشركون وأقام بها شهراً
قوات المشركين	سبعمائة مقاتل	مائة مقاتل من المشركين	قبائل ثعلبة ومحارب
قوات المسلمين	جيش المسلمين بالمدينة	مائتا مقاتل من المسلمين	أربعمائة وخمسون مقاتلاً
حامل لواء المسلمين	حمزة بن عبد المطلب	ــــــــــــــــ	ــــــــــــــــ
الخليفة على المدينة	أبو لبابة بن عبد المنذر	أبو لبابة بن عبد المنذر	عثمان بن عفان
السبـــــــب	نقض العهد بينهم وبين المسلمين بإيذاء امرأة من المسلمين، وقتل بسبب ذلك رجلان: مسلم ويهودي	طلب أبي سفيان ومرافقيه من المشركين حين أغاروا على المدينة المنورة	علم الرسول ﷺ أن ثعلبة ومحارب يحشدون بذي أمر للإغارة على المدينة
التأريـــخ	شوال- إبريل ٢هـ ٦٢٤م	ذوا الحجة - يونيو ٢هـ ٦٢٤م	محرم - يوليو٣هـ ٦٢٤م
الموقـــع	سوق بالمدينة المنورة	قرقرة الكدر على طريق الشام ٦٠م - ٢مر	واد بقرية النخيل بنجد ٧٢ م- ٣مر
اسم الغزوة	بنو قينقاع	السويق	ذو أمر
المسلسل	٧	٨	٩

مجمل النتائج	لم يلقَ كيداً وأقام ببحران ربيع الآخر وجمادى الأولى ورجع إلى المدينة	مُنِيَ المسلمون بخسارة في الرجال ولم ينهزموا وانسحب المشركون دون نصر ضاربين موعداً للقاء بعد عام ببدر	لم يلق كيداً وتابع المشركون انسحابهم إلى مكة حرصاً أن لا يحرموا مكسبهم الهزيل
قوات المشركين	قريش وحلفاؤها	ثلاثة آلاف مقاتل ٢٠٠ فرس	ألفان وتسعمائة وستون مقاتلاً
قوات المسلمين	ثلاثمائة مقاتل	سبعمائة مقاتل معهم ١٠٠ درع	ستمائة مقاتل
حامل لواء المسلمين	ـــــــــــــــ	مصعب بن عمير	علي بن أبي طالب
الخليفة على المدينة	ابن أم مكتوم	ابن أم مكتوم	ابن أم مكتوم
السبـــــــب	تحسباً من أي محاولة من قريش وحلفائها بالإغارة على المدينة ،وقال ابن هشام: يريد قريشاً، واختاره ابن القيم	غزو المشركين للمدينة انتقاماً لمعركة بدر ونزلوا أحداً عينين	تحسباً من رجوع المشركين وإعلاناً لثبات المجاهدين وتهوينا لآلامهم
التأريـــخ	ربيع الآخر ٣هـ ٦٢٤م	شوال – يناير ٣هـ ٦٢٥م	شوال – يناير٣هـ ٦٢٥م
الموقـــع	موضع بالحجاز بناحية الفرع ٢٤م –١مر	جبل شمال شرق المدينة ـ ميلين	موضع قرب العقيق٨م
اسم الغزوة	بحران	أحد	حمراء الأسد
المسلسل	١٠	١١	١٢

مجمل النتائج	النصر للمسلمين حيث أجلوا اليهود من المدينة وغنموا السلاح والدور والأموال	لم يلق كيداً وفرّ المتحشدون وكسرت شوكتهم	لم يلق كيداً حيث رجع المشركون خوفاً وانقلب المسلمون بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء
قوات المشركين	بنو النضير	قبائل غطفان ومحارب وثعلبة	ألفا مقاتل من المشركين
قوات المسلمين	جيش المسلمين بالمدينة	أربعمائة مقاتل	ألف وخمسمائة مقاتل
حامل لواء المسلمين	علي بن أبي طالب	ـــــــــــــــــــــــ	علي بن أبي طالب رضي الله عنه
الخليفة على المدينة	ابن أم مكتوم	عثمان بن عفان	عبد الله بن رواحة
السبـــــــب	نقض العهد بينهم وبين الرسول ﷺ لتآمرهم على قتله غيلة ففضحهم الله	بلغ النبي ﷺأن قبائل غطفان ومحارب يحشدون لغزو المدينة	الوعد بين جيش المسلمين والمشركين في غزوة أحد للقاء ببدر
التاريـــخ	ربيع الأولى - أغسطس ٤هـ ٦٢٥م	ربيع أخر جماد أول - يونيو ٤هـ ٦٢٥م	شعبان -يناير ٤هـ ٦٢٦م
الموقـــع	موضع بعوالي المدينة ٢-٣م	في الفيافي حيث سكن البدو ٤٨م-٢مر	بئر بطريق مكة ٩٦٠م - ٤مر
اسم الغزوة	بنو النضير	نجد غطفان	بدر الموعد
المسلسل	١٣	١٤	١٥

مجمل النتائج	لم يلقَ كيداً وفرت القبائل، وغنم المسلمون مواشي كثيرة	نصر الله المسلمين وهزم الكفار المتحزبين، ورجعوا مخذولين خائبين وبتأييد الله للمسلمين معترفين	النصر للمسلمين حيث قتلوا المقاتلة من اليهود وسبوا الذرية، وغنموا الدور والأموال
قوات المشركين	قبائل دومة الجندل ومن حولها	عشرة آلاف مقاتل	بنو قريظة وفيهم سبعمائة مقاتل
قوات المسلمين	ألف مقاتل	ثلاثة آلاف مقاتل	ثلاثة آلاف مقاتل فيهم ثلاثون فارساً
حامل لواء المسلمين	ـــــــــــــــــــ	علي بن أبي طالب	علي بن أبي طالب
الخليفة على المدينة	سباع بن عرفطة الغفاري	ابن أم مكتوم	ابن أم مكتوم
السبـــــب	بلغ النبي ﷺ أن قبائل دومة الجندل يقطعون الطريق وينهبون المارة	تحزب قريش وقبائل نجد بتحريض من زعماء اليهود من أجل استئصال المسلمين من المدينة	نقض العهد بينهم وبين النبي ﷺ بموالاتهم للأحزاب
التاريـــخ	ربيع أول - يوليوا ٥هـ ٦٢٦م	شوال - فبراير٥هـ ٦٢٧م	شوال -ش فبراير٥هـ ٦٢٧م
الموقـــع	موضع بمشارف الشام ٣١٢م - ١٣مر	المدينة بين أحد وسلع	حول المدينة بواد مهزور
اسم الغزوة	دومة الجندل	الأحزاب الخندق	بنو قريظة
المسلسل	١٦	١٧	١٨

مجمل النتائج	لم يلقَ كيداً وفر المشركون إلى رؤوس الجبال	الهزيمة للكافرين والنصر للمسلمين، حيث غنموا الأموال وسبوا الذرية والنساء، ومنهم أم المؤمنين جويرية ، وقتل من الكافرين عشرة وفرّ الباقون	الفتح المبين للمسلمين لإتمام الصلح بين المسلمين والمشركين عشر سنين، وانسحب المشركون من ميدان الحرب إلى ميدان السلم مستسلمين
قوات المشركين	بنو لحيان	بنو المصطلق فوق السبعمائة مقاتل	جميع قريش معهم مائتا فرس
قوات المسلمين	مائتا مقاتل فيهم ٢٠ فارسا	لم يثبت عدد معين وكان فيهم ثلاثون فارساً	ألف وأربعمائة مقاتل، وقيل: ألف وستمائة
حامل لواء المسلمين	ـــــــــــــــ	أبو بكر الصديق وسعد بن عبادة	تـــــم الـــصلـــح
الخليفة على المدينة	ابن أم مكتوم	زيد بن حارثة أو أبو ذر الغفاري	ابن أم مكتوم أو نميلة الليثي
السبـــــــب	الاقتصاص لأصحاب الرجيع	علم الرسول ﷺ أن الحارث رئيس بني المصطلق يسعى في قومه لغزو المدينة	رؤيا الرسول ﷺ أنه يدخل الكعبة مع أصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فخرجوا معتمرين
التأريـــخ	جمادى الأولى - يوليو ٦ هـ ٦٢٧م	شعبان - ديسمبر٦هـ ٦٢٧م	ذوالقعدة ــ فبراير ٦هـ ٦٢٨هـ
الموقـــع	واد بين مكة والمدينة ١٦٨م - ٧مر	ماء بقديد بين مكة والمدينة ٩٦م - ٤مر	بئر قرب مكة ٢١٦م ــ ٩مر
اسم الغزوة	بنو لحيان-عسفان	بنو المصطلق المريسيع	الحديبية
المسلسل	١٩	٢٠	٢١

مجمل النتائج	النصر للمسلمين حيث أدركوا العدو وقتلوا قائدهم، واستنقذوا مواشيهم وغنموا من سلاح العدو ومعداتهم	النصر والفتح للمسلمين والغنيمة المعجلة لهم من رب العالمين والهزيمة لليهود والمشركين	النصر للمسلمين حيث فرّ المشركون بعد التقابل بين المعسكرين
قوات المشركين	فرسان من غطفان قائدهم عبد الرحمن الفزاري	عشرة آلاف مقاتل معظمهم يهود	أعراب نجد
قوات المسلمين	خمسمائة مقاتل ٥٠٠	ألف وأربعمائة مقاتل	سبعمائة مقاتل ٧٠٠
حامل لواء المسلمين	المقداد بن عمرو	الحباب بن المنذر وعلي بن أبي طالب	بشير بن سعد الخزرجي
الخليفة على المدينة	ابن أم مكتوم و سعد بن عبادة	سباع بن عرفطة الغفاري	أبو ذر الغفاري
السبـــــب	استنقاذ ظهر المسلمين من عصابة عبد الرحمن الفزاري حين أغاروا على الرعاة حول المدينة	التخلص منها لكونها وكر الدسائس على المسلمين وقيام سراتها بتأليب قريش وقبائل نجد لغزو المدينة يوم الأحزاب على المدينة المنورة	اجتماع أعراب نجد وغطفان وأنمار لغزو المدينة
التأريـــخ	محرم – مارس ٧هـ ٦٢٨م	محرم – مارس ٧هـ ٦٢٨م	ربيع الأولى – إبريل ٧هـ ٦٢٨م
الموقـــع	عين ماء بغطفان ٢٤م – ١مر	منطقة زراعية شمال المدينة ٩٦م – ٤مر	قرية بنجد المدينة تسمى نخلاً
اسم الغزوة	ذو قرد	خيبر	ذات الرقاع
المسلسل	٢٢	٢٣	٢٤

مجمل النتائج	الفتح الأكبر للمسلمين والتحرير للكعبة المشرفة من أيدي المشركين وجاء الحق وزهق الباطل وطهرها من الأصنام وللطائفين والعاكفين والركع السجود	النصر للمسلمين وغنمت الأموال وسبيت النساء والذراري وفر المشركون ثم جاؤوا مسلمين ورد عليهم النبي سبيهم	لم يلقَ كيداً وظفر بالقبائل المتنصرة المساندة للروم وصالحهم على الأموال والسلاح وجلس في تبوك عشرين يوماً
قوات المشركين	قريش والقبائل حولها	عشرون ألفاً من المقاتلين	خمسون ألف مقاتل من جيشش هرقل والقبائل المساندة
قوات المسلمين	عشرة آلاف مقاتل	اثنا عشر ألفاً من المقاتلين	ثلاثون ألفاً فيهم عشرة آلالاف فارس
حامل لواء المسلمين	الزبير بن العوام	علي بن أبي طالب	أبوبكر الصديق
الخليفة على المدينة	أبو رهم الغفاري	أبو رهم الغفاري	محمد بن مسلمة الأنصاري
السبب	نقض الصلح المبرم في الحديبية من قبل المشركين باعتدائهم على حلفاء المسلمين	قيام هوازن وثقيف ومن انضم إليهم من القبائل لغزو المسلمين	رجب - أكتوبر ٩هـ ٦٣٠م
التأريخ	رمضان - يناير ٨هـ ٦٣٠م	شوال - فبراير ٨هـ ٦٣٠م	رجب - أكتوبر ٩هـ ٦٣٠م
الموقع	مكة ٢٤٠م - ١٠مر	واد شرق مكة ٢٤٠م - ١١وثلثي مرحلة	عين ماء في حدود الشام ٢٩٠م -١٢ مر
اسم الغزوة	فتح مكة المكرمة	حنين	تبوك - العسرة
المسلسل	٢٥	٢٦	٢٧

بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم

١ـ اعتمدت في كتابتي في هذا الجدول على الكتب التالية:
(بهجة المحافل مع حاشية الزواك)، (الرحيق المختوم)، مع مراجعة بعض السير وكتب الحديث الموجودة لديّ، مثل: **(إنسان العيون)، (شرح الكرماني والعيني وغيرها)**.
٢ـ وجعلت بدء المسافات للغزوات من المدينة المنورة ومنها انطلقت هذه الغزوات؛ لأنها تعتبر العاصمة الإسلامية .
٣ـ وجعلت مقاييس المسافة : **(الميل ـ المرحلة)** الشرعيين؛ لوضوحها لدى القدماء والمتأخرين، علماً بأن الميل الشرعي قدره **(١٧٣٥)** متراً كما هو مقرر في كتب الفقه، والمرحلة قدرها:**(٢٤)** ميلاً. ورمزت للميل بحرف (م)، وللمرحلة بالرمز(مر).

وجمعته من أجل أن يسهل حفظه لطلاب العلم الشريف ورجاءً في شفاعة الرسول بالدين الحنيف ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[1] .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد بن عبد الله أكمل صلاة وأبرك تسليم . ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كتبه راجي عفو ربه العلي
محمد بن قاسم بن إسماعيل الوشلي
بمدينة المنيرة
وانتهى زبره في شهر رمضان المبارك
من عام ثلاثة عشر بعد الأربعمائة والألف
من هجرة الرسول ﷺ.

(١) سورة الشعراء آية (٨٨).

تقريظ الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن إسماعيل بن محمد الوشلي الحسني رحمه الله

بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وآله وصحبه أجمعين. **وبعد:**

فقد اطلعت على ما حرره الولد العلامة محمد بن الأخ قاسم بن إسماعيل الوشلي من العبر والعظات في الإسلام والجهاد والغزوات، فإذا هو قد أفاد وأجاد وأتى بما لم يأتِ غيره من العباد فقد دخل عليها من كل خوخة وباب ، فجزاه الله عنا خير الجزاء وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه: عبد الرحمن بن اسماعيل الوشلي
وحرر لتسع بقين من ذي القعدة الحـرام
سنة ١٤٢٤هـ

الفهرس

بين يدي الكتاب (بقلم الشيخ محمد بن علي بن محمد باعطية) ...١
ترجمة المؤلف: السيد محمد بن قاسم الوشلي.....٣
مقدمة واغتباط.....٩
الإسلام وذروة السنام.....١٠
مدخل: الإسلام والجهاد هما الحياة للعباد.....١١
الأمة بمبادئها.....١٤
علموا وجهلنا.....١٤
الأمة الإسلامية تملك وسائل القيادة للعالم.....١٥
ما الحل؟.....١٦
أدركوا وغفلنا.....١٧
الانتماء الفارغ.....١٧
الأمر الخطر: سوء الفهم والتغير في التبديل والتغير.....١٨
فضل الجهاد في الإسلام.....٢٠
حكم الجهاد في الإسلام.....٢٢
ماضٍ لا يتوقف.....٢٣
الجهادً وغايته، والمجاهد ونيته.....٣١
الإسلام هو الحياة.....٣٢
الإسلام دين كامل.....٣٢
الغاية من الأمة الإسلامية.....٣٤
الدولة من ضروريات الدين.....٣٥

المنهج النبوي الإصلاحي في الدين.....٣٦
إقامة العدل لا يكون اعتداء ومحو الظلم لا يكون خداعاً.....٣٧
لماذا شُرع الجهاد؟.....٣٧
الجهاد ضرورية من ضروريات الدين.....٣٨
كيف كان بدء الجهاد ؟ ٤٠
التخطيط أولاً.....٤٠
العبر والعظات من السرايا والغزوات للعام الثاني من الهجرة.....٤٣
بدر الكبرى ٥٠
العبر والعظات من السرايا والغزوات للعام الثالث من الهجرة...٥٨
تنبيه.....٦٩
العبر والعظات من السرايا والغزوات للعام الرابع من الهجرة...٧١
تنبيه وملاحظة ٧٦
العبر والعظات من السرايا والغزوات للعام الخامس من الهجرة ..٧٨
العبر والعظات من السرايا والغزوات للعام السادس من الهجرة.٨٢
العبر والعظات من السرايا والغزوات للعام السابع من الهجرة...٩٠
المكاتبات والرسل ٩١
السرايا ٩٣
من حزب صغير إلى دولة عظمى.....٩٨
العبر والعظات من السرايا والغزوات للعام الثامن من الهجرة..١٠٢
القرآن يتحدث عن الفتح ١٠٦
العبر والعظات من السرايا والغزوات للعام التاسع من الهجرة.١١٠
مسك ختام جدول الغزوات غزوة تبوك لخير البريات.....١١٢

العبر والعظات من مجموع السرايا والغزوات.....١١٥
خاتمة: أين أمة الإسلام؟ نسأل الله حسن الختام.....١١٨
غزوات الرسول ﷺ.....١٢٢
تقريظ الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن إسماعيل الوشلي.....١٣٣
الفهرس.....١٣٤

* * *